حقيقة الإثم

عماد علي حمد

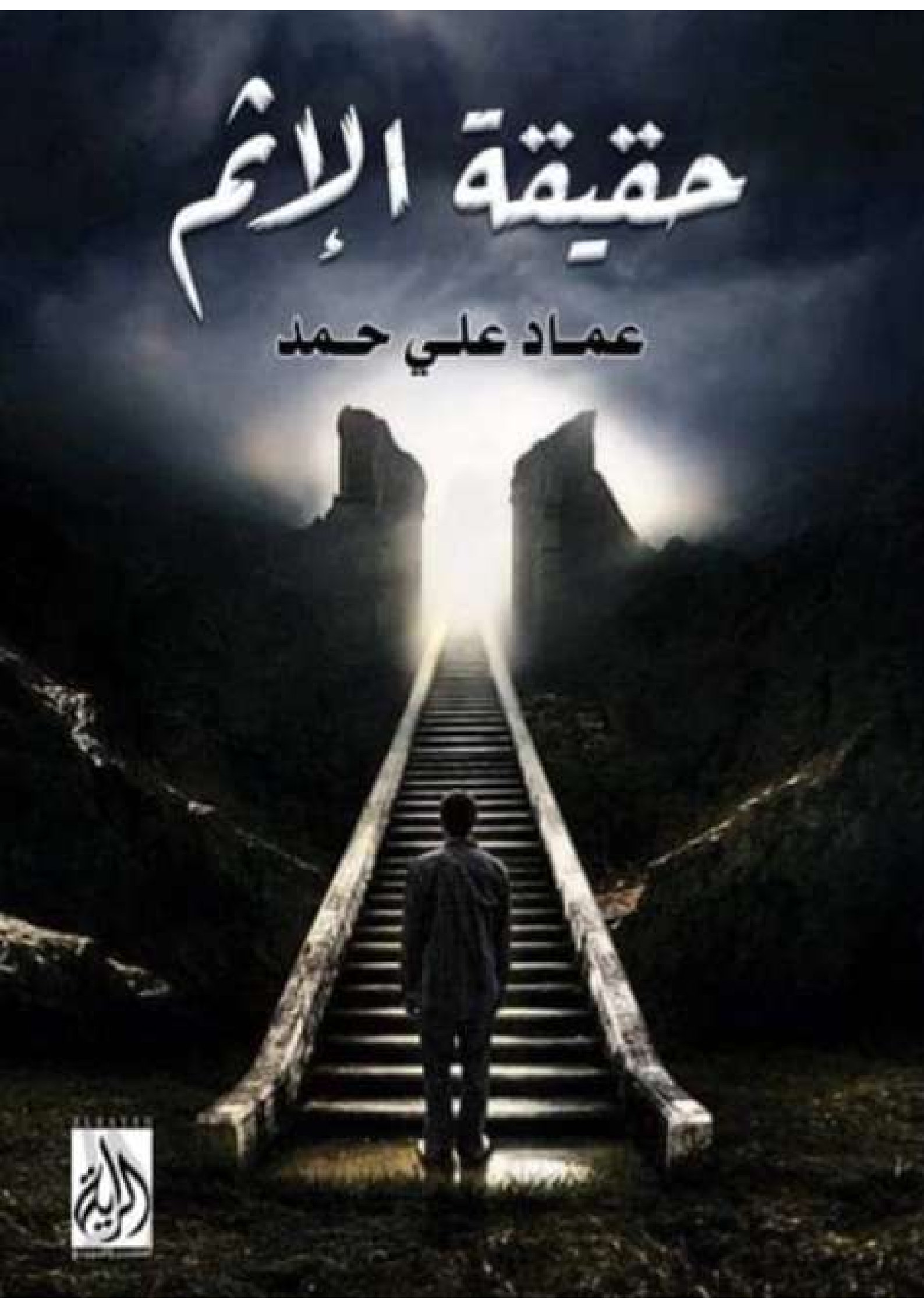

حقيقة الإثم

عماد علي حمد

ALRAYAH
الراية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

حقيقة الإثم

عماد علي حمد

. ط١ . القاهرة : دار الراية للنشر والتوزيع 2023م

رقم الإيداع : 2023/4038م

الترقيم الدولي : ISBN: 978-977-426-328-6

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠٢٣م

يجوز تصوير أو نقل أو نسخ أو توزيع أو نشر
هذه المادة بأي طريقة إلا بموافقة خطية من
دار الراية توب للنشر والتوزيع

54 شارع شهاب المهندسين – الجيزة – جمهورية مصر العربية

تليفون :

002 02 33451851 - 33026637 - 33446727

E-mail:mediaprotec@hotmail.com

E-mail: rayatop@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

أنا أنسان بائس وخائف؛ أخشى الموت ولا أستطيع حتى ان أفكر فيه، مليء بالحقد والضغينة تجاه نفسي والاخرين، لا أعلم ما حدث لي وكيف حدث هذا ليّ، لكن جُل ما اعرفه أنني اكره ازدراء الجميع المتواصل عن عملي، أنا لا اقول ذلك عن نفسي لإظهار الكم الهائل من العداوة تجاه الاخرين او ان اجعلكم تبغضونني؟ لكنها محض حقيقة؟ تدخلهم في عملي ومحاولتهم تغيير طريقة معالجة المصابين بالتوحد والاكتئاب جعل مني شخص مملوء بالحقد.

حاولت مرارًا معالجة نفسي المريضة، لكن بائت كل محاولاتي بالفشل، زرت الكثير من الاطباء النفسيين لعلاجي نفسي المريضة؛ لقد عجز الجميع عن حل معضلتي التي اصبحت لا أطيق نفسي بسببها، أعتقد أنني لا اعلم ما سيؤول اليه الامر، أنا الطبيب الشهير **عامر محمد** مختص في معالجة الحالات المستعصية، أقولها صراحةً "**عجز عن علاج نفسه**"، كيف يمكن ان اتخلص من كل تلك الهواجس دفعة واحدة!!

أخبركم أمرًا؛ استمتعت في تعذيب المرضى، كان صوت صراخهم يشبه كثيرًا لحن عُزف بالقرب من البحر في ليلة مقمرة، كنت اشعر باللذة المفرطة جراء ما فعلت، إلا انهُ مع مرور الوقت المتعة رحلت وكأن ما أفعلهُ ليس له قيمة، بكيت كثيرًا، لليالي طويلة لم أستطع النوم، كنت شخص يائس من الحياة، ظلمةُ الجميع حتى من عالجهم تسببوا لهُ بمرض مزمن، لازمتني تلك الذاكرة اللعينة!!

مرّ عليّ هذه الحال فترة طويلة ولم يتغير شيء؟ سوى التجاعيد التي ظهرت اليوم لم يكن لها وجود في الأمس، أما الأن فأنا رجل مسُن يناهز الستين من عمره، أبتعد عني الجميع لقسوتي المفرطة التي أستخدمها تجاههم؟

السمة المميزة لقسوتي أنني يا سادة؟ اشعر بالعار الكبير في داخلي، قسوة غلفه بنوع من العار الذي يصيب الشخص من الداخل، أستطيع أن أخبركم عن مدى عدم أمتناني؟ للحوار الذي أجريه معكم الأن، تقرون ما أكتب بهدف الشعور باللذة ومعرفة ما يقوله هذه المسُن البائس، أنا كنت ايضاً افعل ذلك، لكن بطريقة مختلفة تماماً هه هه هه.

كل يوم يأتي المرضى في الصباح الباكر ويقفون بطوابير كبيرة طالبين مساعدتي؟ كنت أصر بأسناني عليهم (حقيقة لا أخجل منها مطلقًا) واستلذ في أيلامهم، كانوا جبناء خائفين، بالتأكيد ان يكونوا كذلك؛

فقد جاءوا طالبين مساعدتي (تعتقدون أن ما اقوله نكتة باردة)، أنا كتبتها وفي مخيلتي كانت ملائمة، أعجابكم من عدمه لن يغير من الحقيقة شيء سوف تبقى ولن أغيرها، أنا شخص طاغي ولا يغير قراره بسبب مزاجيتكم اللعينة.

أخبركم سر!!

أنا لم أكن يوماً كذلك، والأقسى من ذلك، أنا لا أعلم كيف أبدوا؟

عندما كنت طفلاً اعتقدت أنني سوف اغدوا قبطان سفينة يجوب العالم ويكتشف الاسرار، إلا أن الأمر أنتهى في أحدثكم من زاوية عيادتي البائسة التي أصبحت بمثابة منزل وملجئ ادفع عن نفسي من شرور العالم وأشكو لكم مدى ضعفي وهشاشتي!!

ليس لنا الحق في الاختيار!!

تجرفنا الحياة إلى اتخاذ أشياء غير منطقية في أوقات منطقية، في بعض الاحيان تبدو أكثر ذكاء من غيرك أما الحقيقة أنت لست سوى أبله يجوب الطرقات باحثًا عن المجد، تلك الأشياء ليست حقيقة، أنا لا اقول ذلك لغرض تسليتكم؟ أنا أعترف بتلك الأفعال التي حرمتني من النوم لليالي طويلة، قال ليّ احد المرضى عندما بداء يشكو، عبارة لا زالت عالقة في ذهني:

(لست قادر على كل ذلك يا سيدي لقد حرمت نفسي من تناول اللذ أنواع الطعام بسبب خوفي من الموت؟)

الجوب:

قد تكون المتعة في الموت!!

مرّ أسبوع ولم يأت ليّ، كان شخص أناني جدًا، حصل على المتعة لوحدة؟ لم يترك ليّ شيء أستمتع به؟

هل تعلمون أكثر شيء يمتعني الأن؟ أستطيع التحدث عن نفسي بحرية!!

تلك المتعة لا يمكن لأحد ان يسلبها مني أو يضع القيود أو الشروط لها، قد تكون فكرة أن يصاب شخص في الستين من عمره بالجنون قول راجح؟ لكنها فكرة مبالغ فيها؛ لماذا يُجن الأن ولم يُجن في مقُتبل العمر؟

أقسم لكم بأشد الإيمان يا ايها الناس؟ أن شدة الوعي الذي يصيب الإنسان في سّن مبكر؟ من أخطر الأمراض المستعصية التي لا يمكن علاجها؛ أنا أشكر الله في كل يوم على قلة الوعي الذي كنت أمتلكه في شبابي، لو حدث معِ ما يحدث الأن لفقدت عقلي بالتأكيد؛ كلما ازداد وعي المرء كان أكثر شقاء في عالم تحكمه العقليات المتخلفة، أضحت العادات الباطلة التي توارثها الآباء والأجداد نصوص مقدسة بالرغم من خطيئتها.

الإيمان بكل ما تراه من حولك هو كفر مطلق؛ فقد تكون الصورة التي رسمت أمامك، مجرد زيف زين لك تصورك تجاه الأحداث المغلوطة؟ حتى فكرة كوني من أشهر الأطباء النفسيين كانت سائدة منذ خمسة وثلاثين عام وإلى يومنا هذا؛ فكرة خاطئة؟

كنُت مجرد طبيب بائس يراعي نفسية مرضاه للحصول على مبلغ زهيد من المال ليعيش تحت سقف الكرامة التي سعى للوصول اليها طيلة حياته؛ لكن لم يصل إلى تلك النقطة العمياء، نقدس ونعظم ونبجل كل ما هو زائل للوصول إلى قاع الحقيقة!!

المثالية الصفة الشائعة في القرن الحادي والعشرون، لكنها مثالية مهترئة؟

لا تتسم بالصدق، فكل أناء يصدح لم يصنع من الفخار؟ أنا لا اريد الهائكم عن الحقائق ولا أرغب في اخذ وقتي في الشرح لكم، لكنكم مجبورون يا سادة قراءة كل ما أكتب لمعرفة ما جرى، كفى أنانية واستمعوا جيدًا ليّ فقد عشت كل تلك الاحداث! من الوقاحة ان يظهر الازدراء في ملامحكم البائسة تجاه الكلمات التي أقولها.

الفصل الثاني

مثّل العادة أتى لزيارتي صديقي أياد إلى عيادتي التي تقع في جوار مستشفى (**القديس رافائيل الراهبات**) في الكرادة الشرقية إحدى أحياء بغداد، وودت لو لم يأت لي حينها، فقد أتى لقول نفس الهراء الذي لم يمل منه طيلة تلك السنوات!! قبل الوصول إلى العيادة رآني أتمشى في الشارع المجاور لعيادتي؛ كانت الساعة حينها قرابة (8 ليلاً)؟

قال بغرابة ماذا تفعل يا عامر في هذه الساعة المتأخرة من الليل تطوف ارجاء الحي (قالها لأنها لم تكن عادتي الخروج من العيادة في هكذا وقت)، أنت تعلم كيف هي الأحوال في العام (2018م) الجميع يخشى الخروج إلى الشارع، قلت لهُ، أنا أرغب بالتخفيف عن نفسي يا أياد لقد أرهقت روحي الحالات التي تأتي إليّ في كل ليله؟

رد أياد، لا عليك، تعال لنذهب إلى المقهى (كان يقصد مقهى أردان الذي أعتدنا الذهاب إليه) للتحدث قليلًا!!

اللعنة، سوف يبدأ من جديد؟

ذهبت مع أياد إلى المقهى، وأنا مرغم على الذهاب معه، يا ألهى؛ انهُ متبلد المشاعر!!

دخلتُ مع أياد إلى المقهى، طلب أياد من النادل **سالم** أن يأتي إليه بكوبين من الشاي، بدأ باسترسال الحديث ناقدً فلسفة النظام السياسي العراقي الحالي، وكيف كانت ألية الحكم التي أدت إلى صنع فوضى؟

خاصة أن البلاد تعيش أزمة وجود، واصفًا العامل الديني عنصر هدم للدولة الحديثة ويجب فصل الدين عن الدولة، إذ تعد الدولة المدنية هي تجسيد للإرادة الإنسانية وليس للإلهة حق في التدخل في شؤون الأفراد؟

رددت عليه؛ عجباً يا أياد أنت رجل علماني متعصب جدًا، الإلهة خلقنا لتعمير هذه الارض ونحن ندين لله بالعبادة لاستمرار الحياة، أيمانك في بعض المسائل الدنيوية او حتى الاخروية لا يعني ان ايمانك حقيقي واقعي وإن ايمان الأخرين مزيف!!

الإنسان يؤمن بما يراه مناسب، هناك إيمان مجرد يأخذ منحى أعمق من الإيمان الديني، أنت تؤمن بأنني شخص جيد مثلاً، بناءً على التجربة المادية التي أصلت على أساسها وجودي.

يجب التمييز ما بين الأصل والتأصيل المادي للاعتقاد!!

الأصل أن ترى أن لكل فرد لدية رؤية مختلفة عن الأخر، الاختلاف لا يعني المقت او العداوة، أنما استثناء يجُسد وجود توليفة تحقق أصل الوجود!!

أما التأصيل، أن تؤمن بآن هنُاك اراء مختلفة بينك وبين الأخرين لذي عليك أن تتعامل مع من حولك وفق هذه القاعدة، إذ يكون التأصيل هو الأصل في وجود الاعتقاد؛ تتميز الرؤية تجاه العالم بأنها رؤية مجردة، كما لو أن هناك شخص ولد مسلماً والاخر ولد مسيحياً (من حيثيات الأصل)، في حين أن التأصيل يتجسد في التغيير الذي يحدث للأفراد عبر التجربة، هل أنت يا أياد ولدت شخصًا علمانيًا!!

الجواب:

بالطبع كلا؟

هناك عوامل غيرت من طبيعة تعاطيك مع المواقف السياسية على سبيل المثال؟

عليك الحذر من أن تصل إلى ذلك العمق المقيت!!

أغلب المرضى الذين عالجتهم تجاوزوا الحياة بصعوباتها ووصلوا إلى النقطة الحاسم التي غيرت كل شيء، حتى أصبحت رؤيتهم للعالم رؤية عدوانية، حيث يبدوا الاكتئاب الذي حدث للبعض هو مرض خطير جدًا؛ لكن هناك من يستمتع به وإن كان مرض؟

نهض أياد وأراد الخروج من المقهى متجهًا إلى منزلة في الكرادة، قبل أن يذهب قال لما لا تذهب معِ يا عامر لكَ نتسلى قليلًا، كيف لك أن تستطيع أن تعيش وحدك في هذا العمر في عيادتك! ليتك تزوجت

وعشت حياتك (قالها على سبيل الندم) أنت الأن أحد بؤساء بغداد الخالدة مدينة تقع في وسط الجحيم.

قال عامر، أنت ترى الأمر من وجهة نظرك؟

الجحيم ليس لها وجود في العوالم المادية، الجحيم تعد تأصيل لكينونة الذات التي تقبع داخل الإنسان نفسه، فأن قال لك أحدهم أنه يعيش في الجحيم فأعلم بانهُ أستشعر وجودها في داخله، الإنسان عدو للإنسان نفسه يا أياد؟

المقهى جميل ومدينة بغداد كذلك، عندما تراها من رحابها الأوسع سوف تعيش بشغف متناهي الأبعاد، يجب أن تعالج نفسك وأن تصُحح مسارك تجاه رؤيتك للعالم، أنت من يحدد ماهية العالم وكيف يجب أن يكون العالم؟ الحظ! ضريبة البؤساء، لا يوجد أحد يستطيع أن يغير مسار حياته، ليس كل عمل نرغب في القيام به قادرين عليه.

هل تذكُر عندما قلت ليّ إن رئيس الوزراء العراقي (**عادل عبد المهدي**) ذهب إلى الصين لأبرام اتفاقية مع الصين سوف تساعد في انتعاش العراق اقتصادياً؟ قلت لك بعض المرضى لا يستطيعون تناول الدواء؛ ليس حبًا في المرض لكن الخوف من رؤية الوجهة الحقيقي للواقع؛ الهالة التي يخلقها الإنسان حوله تكون في الغالب مزيفة.

قال أياد، هل لا زلت مُصر على عدم ذهابك معِ!!

قلت لهُ، نعم، لأنني أرغب بالجلوس وحدي قليلًا، وأنا ايضًا شخص يناهز الستين من عمره ماذا سوف افعل إن ذهبت معك!!

رحل أياد وتركني وحدي، نظرة إليه وكأن الحقيقة انقشعت وأظهرت بشاعة الكذب؟

عجباً؟ عالم متهالك على نفسه شباب يافعين يلقون حتفهم ومسنين يجوبون الطرقات باحثين عن اللهو والمتعة، الأغلب يتحدثون عن المبادئ والقيم والاخلاق؛ مما يجعلك تعتقد بأنك شخص سيء جدًا، لا أحد يعلم تلك الحقيقة القابعة في تلك النفوس المرهقة، إذ يتغير الإيمان والاعتقاد بطرفة عين؟ عندما تكون الكاميرة بعيده عنهم، عندما تجد الأضواء خافته، سوف يفعلون ما لم يفعله الشيطان.

اعترافي من عدمه لا يغير من تلك الحقيقة البلهاء شيء، فقد كان أغلب مّن ظننت أنهم أصدقائي يفعلون ذلك؟ حيث عمل حسن وفرمان نفس الامر الذي فعله أياد، اعتقادهم مجتزأ من الذات الفردية، وإن كل إيمان خارج عن الذات الفردية هو إيمان مغلوط؟ أدلجة الأفكار وفق رؤيتهم المادية الأخلاقية يجب أن تتسم بالثبات ازاء المسلمات التي يؤمنون بها؟

الأفكار المختلفة تتطلب مرونة كبيره في التعاطي معها، بالرغم من أنهم أصدقاء وعلاقتهم معهم وطيدة إلا أن الاختلاف ينبثق عندما يبدأ كل واحد فيهم يحاول إثبات أن ما يؤمن به هو الحق والعكس يجسد الباطل.

الفصل الثالث

استيقظت صباحًا على صوت خافت لقرع باب العيادة؟ حاولت النهوض كثيرًا كان جسدي منهكٌ جدًا؛ وخيرًا نهضت في صعوبة بالغة؟

فتحتُ الباب فوجدت سعيد يقف امام العيادة، فقد كان أحد المرضى المصابين بالشيزوفرانيا؛ يأتي مرارًا للحصول على جلسات علاجية؛ فور دخوله إلى العيادة قدمت لهُ كوباً من الشاي، جلس بالقرب مني؛ شعرت بعدم الارتياح، فقد كان هذه المرة مختلف عن المرات السابقة، بدء وكانه يختنق، بالرغم أنني شخصت حالته مرات كثيره وبدء التحسن يظهر عليه، إلا أنهُ كان مثل المصباح المنطفئ، بعد عدة دقائق كان الصمت يجسد تأصيل الحوار المباشر، كان الهدوء سائد، في لحظة قطع تلك الطقوس المقدسة بسؤال؛ زعزع كيان وجودي، قال ليّ، هل الرب قاسٍ؟

حاولت أن أستوعب سؤاله، لقد كان مفاجئ؛ كيف لشاب لم يتجاوز الخامسة والعشرون من عمره أن يطرح سؤال بهذا العمق!!

قلت لهُ: أن أحببت شخص وأبتعد عنك ماذا سوف تفعل؟

رد عليّ: سوف أحاول أن أعيده اليّ بأي ثمن كان!

إذن يا سعيد أن الله يحبك فما كان من حبه لكَ إلا أن أبتلاك بالكثير من المشاكل للعودة إليه، فقد أشتاق لسماع صوتك، تمتم بكلمات غريبة لم أفهم معناها وقال هل تعلم يا سيد عامر أنا لا أستطيع أن أنام، أخاف من كل شيء حولي، حتى عائلتي بداءت أخشاها، أنا حرفياً أخشى الجميع حتى انت!!

ثم أضاف قائلاً، الجميع يراقب تحركاتك، أثناء الحور، وعيناه تملأها الدموع، كيف للإنسان ان يكون قاسٍ على نفسه لهذا الحد، في الأمس كنت أسير في الطريق المؤدي إلى منزلي أرسلتني أمي لأحضر وجبة الإفطار، عندما عدت حاول جارنا اللحام أن يقتلني وبائع الخضراء ابتزني قائلاً بأنه سوف يُلفق تهمة سرقه لي إذا لم أنصاع لهُ وأشاركه في سرقة عائلتي.

أتعلم يا سيد عامر أبي في الصباح كان يضربني إلى أن جعلني أفقد قدرتي على الوقوف على قدميّ؛ لأنني كشفت سرقته لمال إحدى الثكالى التي تسكن في القرب من منزلنا، أصبحت أشفق على نفسي كثرًا.

إلا أمي كانت تقول ليّ، يا سعيد أنت حصلت على نصيبك من السعادة مرتين (كانت تلمح لأمر ما)، أسمك وروحك الطاهرة، لكنها لا تعلم أنني أحترق، وأتألم كثيرًا، كان التعب يبدوا ظاهرًا عليه، ثم قال، أخبرك سرًا سيد عامر؟

أجبته، نعم قلّ!!

قال، لم أعلم أن للألم لذة؟

رددت عليه مستهزئا كيف يكون ذلك، لم أتصور أن يصل إلى تلك النقطة المرعبة!!

يا سيد عامر أنت أكثر شخص يعرف ذلك جيدً (قالها بقصد)، أننا نحيا بالاعتياد، الأصل في وجودنا الخلقي على هذه الأرض هو العمل والاستمتاع، ففينا من يستمتع برؤية ألم الأخرين وفينا من يستمتع في شفاء جروح الضعفاء، وهناك صنف اخر، يرى ان الانكفاء على الألم واحتواءه لهُ لذة مطلقة لا يكمن لأحد تصورها، فقد أصبحت أنا شغوفًا بذلك الألم الذي يجعلني أسهر ليالي طويلة.

أنا اذهب في كل صباح إلى محل الجزار لرؤية الدماء؛ كيف يتم أراقتها، لها متعه لا متناهيه في داخلي، عندما أشعر بالألم يأتني شعور الطمأنينة الذي أبحث عنه، أذكر أنني رأيت أبي يقتل أحد أقربائي في إحدى شوارع بغداد!!

سقط مغشيّ عليه بعد أن غرز عدة طعنات في صدره، اقتربت لمساعدته كان يحتضر؟ علمت حينها أن الإنسان أضعف مخلوق وجد في هذا الكون، وأثناء رؤيتي لأخر أنفاسه تخرج من جسده، أدركت حينها كيف تسلب روح الإنسان، بعدها بقليل سمعت صوت خافته يخرج من

أعماق روحي، قائلاً ليّ، عليكَ أن تتصالح مع نفسك، وإن لا تخشى الجميع!!

كانت عيون الرجل لها بريق؛ جسدت موت الصدق، أقسم لك بغليظ الإيمان أنني لن أصادف أحد يموت مثل تلك الميتة، فقد كان مرتاح جدًا، وكأنه أستطاع أن يخرج كل ما بدخله بتلك الطعنات التي غزت جسده النحيل، كان مستمتع بتلك الطريق التي ذهاب بها إلى الله وكأنه أنتظر تلك اللحظة الحاسمة منذ مدة طويلة.

قلت لهُ، يا سعيد أننا نستلذ بتلك الأشياء البسيطة التي تلازمنا، فقد يكون الإنسان مُخير في اختيار ماهية سعادته، دائمًا يسعى الأخرين إلى سلب سعادتك منك بأي طريقة كانت، لكن أن تتفرد بسعادة يخشاها الأخرين، أمر يقلقني عليكَ؟ الفلسفة التراجيدية يجب أن تحيا معنا.

خاصة أن الأسس الوجودية تنطوي على الذات، ويمثل الأخير نواة الوجود المادي المعلوم، فأن كان الوجود يتركز على الذات فعليك أن تؤمن بأن للسعادة انواع أخرى، الأطفال والنساء مثلاً، أبحث مره اخرى ومنح نفسك فرصة أخرى لتحيا بأمان،

هناك مسائل كثيره ليس لها تفسير في الوقت الراهن على أقل تقدير، التفكير الذي تنطلق منه يجسد اللاوعي الذي تعيشه؛ لا يمكن أن أقول

لك أن ما تقوله هو أمر خطأ وبشع فقد يكمن المنطق في بعض الاحيان في المسائل غير المنطقية.

قال سعيد، لقد جئت اليك اليوم مبكرًا، لأنني غير قادر أن اتحمل كل تلك الاصوات التي تدور في مخيلتي، فقد تعبت كثيرًا، هناك صدى صوت طفل رضيع وشيخ كبير يدور في رأسي، يفقدني صوابي، في كل يوم يأتني هاجس الفقدان، أنا اخاف أن أفقد أحدهم يومًا من الأيام.

لا أعلم ما هو أثمن الأشياء التي أمتلكها؛ قال ليّ أحدهم يومًا ما، أن لي كنز يقبع في داخل رأسي، كم تمنيت أن يكون الكنز من نصيب أحد غيري!!

نهض ببطء من الأريكة وقال لي، شكرًا سيد عامر، سوف أعود إليك مره أخرى في وقت أخر، قد يكون عام أخر أو على أقل تقدير عالم أخر مختلف عن هذا العالم، لنا لقاء لن أقول لك وداعًا، لأن الوداع يجسد الفراق والابتعاد، وأنت لن تنفصل عنيّ ما حييت هل تعلم ذلك؟

غادر العيادة واوصد الباب خلفه!!

اعترتني الدهشة من ما قال، لقد كان شخص عقلاني جدًا، كأنني أنا المصاب وليس هو، هنا وقفت قليلًا، أناظر خطواته كيف تذوب في عتبات الطرق، يرتدي معطفًا أسود، كان يعرف كل ما يقول، شككت

فيه للمرة الاولى بأنهُ يعاني من أي شيء، فقد تجسدت فيه الفلسفة المادية العقلانية وأنا أجزم انهُ لا يعلم أي شيء عن الفلسفة المادية؟

شدة الألم تؤدي إلى الوعي، وشدة الوعي تدفع إلى البؤس، وشدة البؤس تجسد الخذلان، وينتج عن كل ذلك عزلة مفرطة تمنح السعادة!!

عندما يكف الإنسان عن المحاولات المتواصلة يصل إلى السعادة!!

أذكر عندما أتى ليّ لأول مره سعيد إلى العيادة، كان شخص تافه بحق، لم أمنحه أي اهتمام، كان مجرد مريض عادي، شأنه شأن أي شخص أخر، لكن الأن أصبح الوضع مختلف تمامًا، لكن أنا الان متشوق لرؤيته مره أخرى، وإن لم يعود إليَّ سوف أندب حضي، أصبحت أؤمن بأن سعيد شخص غير عادي، حذق جدًا، أيمان متأخر جدًا لا يبرر شيء مما حدث.

فرض نفسه عليّ مع مرور الوقت أكثر من القديس الذي كان يزورني والداعية الذي ينصحني والمعمم الذي يرشدني إلى سبيل الخلاص لمشاكلي، كيف حظي بتلك القداسة في داخلي في وقت قصير جدًا، لما لم أرى ذلك في عينيه، حتى صديقي فرمان لم يؤثر في عندما تحدث عن ملحمة طاووس الملك.

الفصل الرابع

الإيمان المادي؛ يزعجني جدًا، أن يمتلك مثل ذلك الوضيع هذه المكانة في داخلي، الجميع عجز عن ذلك!!

التجربة والتحقق، قد يكون الأشخاص المحيطين بنا هم مجرد أشخاص عاديين لكن مع الوقت تتغير نظرتنا لهم، عندما تحدث سعيد الاولى مره عن نفسه، شخص عادي جدًا، مع مرور الوقت اصبحت أؤمن به أيمان مجتزئ من النفس، أي بناءً على التجربة التي خاضها فقد خلقت لهُ هالة في الوجود المؤثر فيه، إذ أثر فيَّ بشكل مباشر أو غير مباشر، أصبحت شخص خرف وطاعن في السن عرضه للتغير؟

رنَّ جرس الهاتف!!

الو؟

من معِ!!

الم تحفظ رقم هاتفِ، أصبحت رجل عجوز هه هه هه

أعتذر، فقد ظهر رقم مجهول!!

أنا فرمان، كيف حالك يا عامر؟

أنا بخير الحمدلله، لكنني متفاجئ أين ذهبت طيلة هذه المدة، اعتقدت أنني لن أراك مره أخرى، مر وقت طويل يا صديقي منذ ذلك اللقاء!!

لقد أتصل بي يوم أمس أياد وطلب منيَّ الاجتماع لإعادة الأيام الخوالي، فقد عدت من المانيا منذ أسبوع وكنت على تواصل دائم مع أياد، الغربة مؤلمة يا صديقي، لقد هجرونا من ديارنا قسرًا، لكن يبقى الحنين إلى الوطن أعظم شعور ممكن أن يشعر به أي إنسان، مهما قسَّت عليكَ البيئة التي عشت بها؛ سوف تبقى تشعر بالاغتراب من دونها، قبل قدومي كنت أعيش في أرقى أحياء ميونخ، كانت قمامة شارع أبي نواس تزهوا جمالاً وأكثر بريقًا.

إذن سوف نلتقي في نفس المقهى يا فرمان، نعم فقد حددنا موعد أنا وأياد للقاء في الثالثة من عصر اليوم، بعد انتهاء الاتصال!!

رأيت ظل بالقرب من الباب؟

ومن ثم سمعت صوت طرق الباب،

دخل بخطوات مثقلة؛ رجل يناهز الثمانين من عمره، ذو شعر مجعد وعيون بنيه وبشرته بيضاء، القى التحية عليّ، ثم قال كيف حالك يا عامر هل انت بخير، الحياة لم تغيير فيك شيء لا زلت كما أنتَ، فقط هيئتك بدت أكثر وسامة (قالها ساخراً) اوه؟ من يتحدث القديس بسطوروس!!

هل أتيت للاعتراف في عيادتي (قلتها على سبيل السخرية)، نعم أتيت أعترف لك بالكثير؛ هل تستطيع أن تسمع ذنوب القس المسن!!

عجباً منذ متى أصبحت شخص ودود هكذا؛ أين ذهب بسطوروس العنيد، فاجئني جدًا بكلامه فقد كان يتسم بالجدية التي اعتقدت عدم وجودها فيه يوماً ما؟ فقد كان كثير المزاح وعدم المبالاة.

قلت لهُ، لا تقلق أنا هنا لسماع هراء المسنين هنا هه هه هه!!

لكن عليك دفع المال مقابل ذلك، قال بسطوروس لا زلت تمتلك حس الدعابة يا عامر، بالرغم من أنني اعرفك منذ عشرون عامًا، إلا أنني في كل مره أشعر وكأني لا أعرفك، قلت لهُ كفى هراء وأجلس فقد اشتقت لك ولحديثك الساذج، أنت الأن في عيادتي وأنا امارس فيها سلطتي؟ أجلس ريثما أحضر لك كوب من الشاي الخضر الذي تحبه يا صديقي.

قال بسطوروس، يا عامر أنت طبيب نفسي ولك في مجالك سنوات طويلة، مرّ عليكَ أشخاص كثيرون من غريبي الأطوار، وأنا عملت في الكنيسة لسنوات طويلة والكثير اعترفوا ليّ بخطاياهم؛ أجبته وماذا في ذلك يا بسطوروس؟

قال؟ يؤلمني أن الخطيئة أصبحت مقدسة لدى الكثيرين، البعض يعترف ويبكي صباحًا وفي المساء يمارس الرذيلة والبغاء وكأن الصباح لن يأتي، أن الرب رحيم بنا، صبّر على خطايانا كثيرًا، أتيت اليك ويجول في

رأسي سؤال ابحث عن أجابه **"هل للإيمان لذة؟ وهل يمكن للإنسان العادي أن يدركها"**، ماذا تقول يا بسطوروس، سوف اتحمل تفاهتك، لن أبخل عليكَ بشيء.

الجواب:

الأصل في الوجود الاعتقاد النابع من الذات الإنسانية، التي ترى أن كل ما يحقق الخير لها هو خير مطلق بغض النظر عن مصدر هذا الخير، تأصيل الخير يدفعنا ديناميًا للشعور باللذة، ومن هنا يجب التمييز بين نوعين من اللذة التي يستشعرها الإنسان في وجوده المادي.

الاولى لذة مطلقة..

تتجسد في الإيمان المطلق بالله (السائد في الاعتقاد الاسلامي)، ويكون الاعتقاد المطلق بقرب الآلهة اليك، تمثل في يشوع (الاعتقاد المسيحي كونك رجل مسيحي)!!

تكون اللذة مطلقة وغير محدودة ترتكز على بعد أخلاقي قيمي ديني، ليس لها حدود وتتسم بالدوام، تستمد استمراريتها من عمق الاعتقاد الديني الذي تنتمي إليه، ففي حال وجود اسئلة لا يجيب عليها دينك فأنت في مأزق كبير، خاصةً في مسألة الاهوت والناسوت وآلية التفريق بينهما وآلية الاتحاد، هنا انت شخص مسيحي في الاسم فقط، اما إن

كان لكل سؤال جواب لا يتسم بالإكراه والاجبار عليه إذن الاعتقاد ينطلق من قاعدة رصينة؛ صعب جدًا أن تتأثر.

المعضلة الأساسية أن الإيمان يتبدد مع الوقت في حال عدم وجود مرتكزات يرتكز عليها الاعتقاد الديني لأي فئة أو طائفة أو أي دين كان، نستلذ في حال قيامنا بأعمال خيره يشجع عليها الدين الذي نتبعه، تتميز هذه اللذة بالدوام والاستمرار ولا يتبعها تأنيب الضمير، اذ يعد الأخير الأصل في الحكم على المسائل العقائدية، إذ ينبع الاعتقاد من عمق الإنسان ويتحكم في الاعتقاد الضمير الذي يمثل محرك انطلاق الإيمان، خاصةً أن الدين الحقيقي لا يتناقض مع الضمير في المبادئ والقيم الأخلاقية والإنسانية، إلا في حالات نادرة، قد يكون المنطلق الأساسي لها المادية الأخلاقية، ويكون الاعتقاد فيها أقل خطورة.

أما النوع الثاني هي اللذة المحرمة!!

إذ تطغى في بعض الأحيان اللذة المحرمة على حياة الإنسان، تتجه الغريزة الإنسانية إلى مصادر أخرى للذة غير الإيمان الإلهي، ويرجع ذلك للضعف الكامن في النفس البشرية، إذ تتسم دائمًا بالضعف المطلق أتجاه الرغبات والشهوات التي تأخذ بها إلى البحث عن المتعة في المسائل المحرمة.

القصور الكامن في اللذة المحرمة هي لذة وهمية، تنشئ وفق تخيلات لا تتصل في الحقيقة بشيء، مما يدفع الإنسان للدخول في معترك البحث

عنها، ليس بدافع الحب او المتعة المطلقة، انما الفضول ورغبة الاكتشاف، يجعل الإنسان يدخل طرق مختلفة للوصول إلى الحقيقة المزيفة التي يتخيلها المرء؟ بسبب ترسيم الأهداف المفتعلة وفق الرؤية الأنية للوعي الإنساني!

الفصل الخامس

الحقائق؛ تكون ذات أصول، إذ تعد الحقيقة المطلقة في اعتقادك هي وهم مطلق في اعتقادي، إن أصل الخلاف الإنساني هو عدم وجود معِار محدد يتم من خلاله قياس درجة الإيمان، إذ تؤمن أنت كرجل مسيحي أن (عيسى) (عليه السلام) ألهه او جزء من ألهه ، اما أنا ارى اعتقادك واهنّ ويخرق أصل اعتقادي القائم في أن (عيسى) (عليه السلام) نبي مرسل شأنه في ذلك شأن اي رسول مبعوث من الله؟

فهل الحقيقة التي تؤمن بها أنت هي مرادفه للحقيقة التي أؤمن بها أنا؛ بالطبع كلا!!

لذلك يتوجب عليك أن تحترم ما أؤمن به وأنا احترم ما تؤمن به أنت، من باب عدم انتهاكّ أي قداسة اعتقاد أحد، لدرء المفاسد التي تنتج عن ذلك؟

خاصة أن الخلافات قد تذهب بنا إلى تأصيل لذة محرمة تتمثل في أراقة الدماء للأشخاص العزل ممن ليس لهم شأن في حوارنا العقيم أيها المسن (قلتها على سبيل المزاح)!!

بالرغم من أن اللذة تكون نسبية في المسائل المحرمة إلا أن فاعليتها تكون أكثر من الإيمان المطلق في مرحلته الاولى، حكمة الله يا بسطوروس تجعل من الإنسان ضعيف أمام الشهوات والبحث عن اللذة بشقيها مطلقة ومحرمة، ويرجع ذلك إلى فلسفة الثواب والعقاب.

الإنسان يضعف باستمرار ازاء الكثير من الأشياء من حوله بطريقة أو أخرى، حيث تجد أحدهم يأتيك إلى الكنيسة في الصباح ويمارس البغاء في المساء، أنا لست بصدد تحريم أو أباحه هذا العمل، لكن الإصرار على التوبة هو ثواب بحد ذاته!!

الإصرار على الخطيئة شر مطلق للنفس في الوقت نفسه، على الإنسان أن يعلم ما يريد او أن يعرف الاهداف التي يسعى اليها، كُن جيد بنسبه متوسطة وكن شرير بنسبه متدنية أفضل من شخص جيد بنسبة مرتفعة وسيء بنسبة متوسطة.

الاعتياد على الخير يؤدي بك إلى الخير المطلق تدريجياً!!

الحكمة الإلهية جعلت من اللذة المحرمة لذة نسبية، لاختبار قدرة الأنسان على التحمل المشقة، إذ لا تتسم بالدوام لها وقت معِن وتزول، مما يجعل الغشاء الذي يقع امام عين الإنسان يزول بسرعة ليظهر له الحقيقة المطلقة، عندما يصل الإنسان إلى تلك المرحلة يبدأ بطلب المغفرة من الله.

تتجسد حينها فلسفة البؤس والضعف الإنساني أمام الملذات المادية، ففي كل مره يخطئ ويعود إلى الخطأ مره أخرى، فانه يستنفذ حظه في الخلاص من تلك العادة المهلكة.

للوصل إلى السعادة المطلقة من خلال لذة الإيمان هي متاحة لأي شخص!!

ليست مقتصرة على عدد معِن من الأشخاص؟ تنبع من الاعتقاد الجازم في القلب بقرب الآلهة (اقول إلهه لأنني أخاطب شخص مسيحي وكررت الامر سابقًا) ومساعدته لك في أي وقت كان، كلما كنت تحاول أن تتقرب من الله بالعبادات أصبحت اللذة أكثر قرب منك.

يقع الإنسان في الكثير من الأحيان في مشاكل جمة، ويشعر انهٌ غير قادر على الاستمرار في معترك الحياة، وفي لحظة ما تشعر بأن الله بقربك ويساعدك في تجاوز تلك المحن الصعبة، مجرد شعورك بالطمأنينة؟ تمثل بأن هناك قوى خفية تساعدك في تخطي مصاعبك، تتجسد في العناية الالهية للإنسان مدركه لهُ في كل وقت،

التدبير الالهي للإنسان في منحه العقل الذي من خلاله يستطيع ان يخلق أليه حوار مع من يختلف معهم ويتجنب المشاكل التي قد تحدث، ومن أشكال تلك العناية أن الله خلق وجود كامن ومبهم وترك لنا حرية البحث فيه عن ملذاتنا (أصناف الطعام الطازج مثلاً)، ففينا يستلذ بذلك

أكثر من الإيمان، إذ ترك لنفسه في البحث عن الملذات المادية الاقرب اليه من الأبعد، وان كان العكس هو الاصل في ذلك.

لا أعني بأن اولئك الأشخاص هم منحرفون او كفره مجرد الاكتفاء بتلك اللذة البسيطة، أنما على حدّ اعتقادي هم يمثلون الفئة المحظوظة في هذا العالم التي اكتفت بذلك القدر!!

ليتني كنت منهم وانت ايضاً أيها الكاهن المسّن، لكنا الأن نجلس في مطعم فاخر ونستلذ بألذ الأطباق الشهية من الطعام الفاخر بدلاً من خوض هذا الحوار المرير؟ وجلوسنا ساعات او ايام طويلة لقراءة كتب مختلفة لاكتشاف لذة جديدة؛ الهدف منها اشباع رغباتنا في القراءة، هي رغبة شاقة على سبيل الصدفة؟

أنا لا أقول كل ذلك لغرض تضليل أحد او على اقل تقدير تزييف الحقائق، لكنني اتحدث عن اصول السعادة التي لن أصل اليها طالما أنني افكر بنفس الطريقة التي تفكر فيها انت ايها الكاهن.

قد تكون لذة الإيمان هو الاكتفاء بالقدر القليل من الإيمان والجلوس والاستمتاع به وعدم السعي للمزيد من الإيمان، أنا أخشى على نفسي من الإيمان المفرط، لهُ نتائج مدمره على الرؤية العقائدية، خاصة في تقييم مدخلات الافعال وعكس نتائجها على مخرجات الإيمان!!

تراجيدية الإيمان تظهر على اغلب الأشخاص؛ حيث تجدهم يجاهرون بالمعصية ويسقطون الكلام في غير موقعة، الهدف من منه ليس استنقاص من الدين نفسه؟ ان البؤس الذي يكتنف حياة الإنسان عندما يبتعد عن الله يتجسد في فلسفة تظهر عدم اللامبالاة، تصنُع القوة أخطر من تصنُع الإيمان يا بسطوروس وانت أسرفت في ذلك.

أصل الشرور نابعة من الإنسان نفسه!!

أنت إنسان سيء؟

نهض بسطوروس وأقترب من نافذة العيادة وأجهش بالبكاء؛ نظر إلى السماء وقال أنت أعلم بما فعلنا وانت تعلم لما فعلنا ذلك (كان تجسيد للحوار المباشر مع الله)، نحن بشر نؤمن بما ترى اعيننا ونعتقد فيه لا يعني أننا لا نذنب!!

استمتعت حينها عند رؤية الكاهن المسّن يتألم ويبكي وينهار، انها لذة لا يمكن أن أصفها لكم، كنت أشعر أنني قد اجهزت عليه، نظر لي وأنا أصر بأسناني اتجاهه، فقد دفع ثمن العلاج، أكره الأشخاص الضعفاء، أو يمكن القول إنني كرهت شجاعته إذ يستحيل أن أصل إلى ما وصل اليه من قدرة على البوح بالذنوب والاعتراف امام احدهم وليس الناس على اقل تقدير.

رحل وبقي أثره في العيادة كأنه لبث ما خلد فيها بذكراه اللعينة!!

يتطلب ذلك تبلد في الاحساس والتسامح مع الذات، لعنت نفسي تلك الليلة ألاف المرات، لأنني لم أكن قادر ان أكون مثل ذلك المسن الخرف؟ قاطع لحظة صمتِ؛ قول لوالدي عندما كنت صغيرًا العب في التراب وأرسم في نهار صيفًا حار جدًا، قال لي يا عامر أن الحب يمثل أصل الوجود الذي يولد لدينا الرغبة في الاكتشاف،

لم أعلم حينها ماذا كان يرمي اليه من كلامه!!

أما الأن فقد علمت ما كان يريد ان أصل اليه؟ يعد الحب أصل الإيمان، إذ يمثل الإيمان نواة الوجود المادي والمعنوي للإنسان، كيف لأنسان ان يؤمن بشيء لا يحبه؟ هذه خرافة خرقاء إن قالها أحدهم يومًا ليّ.

الإيمان المعنوي، يجسد الاعتقاد الجازم في القلب، وكل شيء يوطئ القلب اما ان يكون حب او كره في المعنى المطلق، وان تجذر في الاعتقاد فهوا حب كامن في كينونة الذات، إذ يصعب على الكثيرين معرفة درجة الإيمان الذي يحمله في داخلة؟

معرفتها تتم بعد فوات الاوان، الازمات هي المعِار السائد في تحديد ماهية الإيمان وامكانية قياسه، قرأت في احدى المرات رسالة لشخص كان أسمه على إن لم تخني الذاكرة، لقد مات منتحرًا في إحدى سجون ابو غريب، كتب فيها:

(اقتراب الموت أمر مرعب جدًا لكن عدم الوعي ومعرفة ذلك يجعل منا سعداء، أهدي لكم قبلاتي قبل موتي ورحيلي عن هذا العالم البائس، أنا شخص غني جدًا، يعتقدون انهم سلبوني حريتي في هذه الزنزانة الانفرادية التي تبلغ مساحتها (مترين في متر)، كان خطأ فادح؟ هي جنتي التي أعلم فيها ما لا يعلمه الاخرين).

الفصل السادس

ففي الجوار كانت هناك أمراءه تسير هي وطفلها البالغ قرابة (6 اعوام)، انظر اليها وأنا جالس على كرسي خشبي امام العيادة، لفتت انتباهي؟ كانت تحمل بيدها قنينة ماء معدنيه همّت بفتح القنينة، وبسبب عجلتها سقطت من يدها وانهمر الماء على الارض، هنا شعرت أن الإيمان الكامن في الإنسان لا يمكن قياسه ولا معرفته، بنفس القدر الذي حاولت به تلك المراءة ان تجمع الماء باءت محاولاتها بالفشل، فقد تناولت القنينة المرمية على الارض وفيها مقدار اقل من النصف في لحظات (انهمر على الارض نصف قنينة الماء) بعدما كانت ممتلئة.

عند ممارسة الطقوس الدينية في جامع او حسينية او كنيسة، تجد أشخاص تتمنى ان تتقرب منهم، مع مرور الزمن، تكتشف حقيقة الخديعة، يجسدون سراق المال العام وقتلة وسفاحين وأشخاص عاشوا على الفسق؟

بالمطلق لا يعني انهم كفار او لا يؤمنون بالمفاهيم الديني التي يتبعونها، انما تغيرت نظرتهم للدين، فقد أصبح كل ما يفعلونه مباح وفق عرف

الإيمان المتجذر في نفوسهم، بعدما تغيرت القداسة التي كانت تتحلى بها انفسهم أضفت تغير في رؤيتهم للعالم!!

عندما سقطوا في اول حفره (مشكلة أو أزمة) انسكب جزء من الإيمان الذي يحملونه في أسفل صدورهم، جعل منهم يؤمنون بأن السرقة هي فعل مشين لكن لا تؤدي بهم إلى التهلكة، والقتل يمكن ان يُسّن له قوانين دينية تجعل منه عمل بطولي؟

النظرة إلى الدين تأخذ زاوية ضيقة في الاعتقاد الجازم للفرد، اذكر عندما كنت شخص يمارس البغاء في احدى النوادي الليلية في مدينة الكرادة في سنة (1996م) تحدثت مع احدى بائعات الهوى؟ لماذا تفعلين ذلك؛ كان ردها لي صادم بالنسبة ليّ، قالت وماذا فعلت أنا؛ هذا مصدر رزقي الذي حدده الله لي!!

الانسلاخ من الذات يجسد الخطيئة المقدسة؟

عشت طيلة حياتي اؤمن بأن الإيمان لا ينقسم على نفسه، قداسة الاعتقاد لا تستباح ولا تفند بالخطيئة، إلا أن أيمان البعض منح للخطيئة قداسة، واصبحت خطيئة مقدسة، ان كل ما يؤمن به الفرد ويتعارض مع الفرد الاخر يصبح خطيئة من وجهة النظر المتعارضة وتحمل في طياتها قدسية الطرف الاول،

دوامة الإيمان إذا دخلت فيها لن تخرج منها مطلقًا!!

لا زالت الذكريات ترمي ببريقها عليّ، كل الطرق التي سلكتها في حياتي كانت عبارة عن تجارب آنية تنم عن مدى هشاشة الوعي الذي كنت أحمله في سّن العشرين والثلاثين، لم اعتقد يوماً ان اكتب لكم كل ذلك، ارغب رغبة عارمة في البوح بكل شيء دفعة واحدة إلى ان ينقطع نفسي ويغمى عليّ او حتى أفارق الحياة.

أشك بمدى مصداقية ما اقول؛ كيف يستطيع المرء ان يتمنى شيء يجهله ويخاف منه، كذبة عليكم حينها؛ لا يعني أنني شخص سيء لكنها كذبة بيضاء!!

وهل للكذب الوان؟ إذن للخطيئة مبررات، وللإيمان أشكال، أنا شخص ممقوت ومليء بالحقد لكن قلبي أبيض ويقول الناس عني شخص طيب؛ محال؟ ان يكون في داخل الإنسان إنسان اخر يجهله، التجارب المادية هي التي تجعل من اي انسان يكتشف هوية من بداخلة، المتعة تكون في معرفة أسس الابعاد المادية للوجود من خلال الذات.

الأبعاد تتحدد بماهية الإنسان وكيف يرى ويفسر الاشياء المحيطة به، فقد يكون الاصل والتأصيل فعلين متضادين في اطار أدلجة الرؤية المادية النقدية للدين مثلاً، صادفت في عيادتي شخصاً متديناً يفتقر للإيمان الذي يجعل منه شخص مؤمن بحق بعيداً عن الإيمان المزيف، خاصة ان الإيمان المزيف يرتبط بتحقيق مصالح مادية او معنوية في اطار الجماعة،

ويلجئ لذلك اصحاب المصالح كأن تنتمي لحزب معِن لديه عقيدة دينية انت لا تؤمن بها لكن هناك دافع حتم عليكَ ان تقمصها الحصول على النفوذ مثلاً، او أن يقال عنك قديس او متدين وتحظى بالسعادة المعنوية التي حرمت منها لملء نقص في النفس، مبررات مختلفة حسب طبيعة كل شخص؟

الأشد غرابة أتى إلى عيادتي شخص علماني يزدر الدين يمتلك من الإيمان أكثر من المتدينين والقساوسة!!

الازدراء من الدين، لا يعني به الكفر المطلق بعدم وجود الإلهة، إلا أن التشبع بالإيمان يدفع بالمرء إلى انكار اشياء كان يعتقد اعتقاد جازم فيها، التعاملات التي يخضع لها المجتمع ونشر الافكار المغلوطة عن اي مسائلة تتعلق بأي امر ما، تدفع بالأخرين إلى الابتعاد عن الدين، لذا يجب عدم أسقاط النظرية الدينية على أي شخص (اقولها على سبيل النصيحة).

اصل الوجود الديني في اي مجتمع ما يكمن في الاسلوب الذي يستخدمه ويمارسها المنتمين اليه، مما ينم عن مدى الاتباع الناتج عن الإيمان، إذ يعد دور الإيمان في ضبط النفس وتحديد مسؤوليات ومهام الافراد حاسم في تفضيلية الروى الدينية.

الإيمان والحياة مترادفتان، إذ يشبه الفنّ الأيمان، حيث لا وجود لفن من دون معنى في المطلق، مما يضفي عملية التغيير في وقائع المجتمعات المختلفة، الاختلاف ينم عن الاعتقاد الراسخ في العقيدة المجتمعِة النابية عن التجارب، وكيفية التعاطي مع الرؤية الديني، في نفس السياق لا وجود لحياة بلا ألم، فكلما كان الألم اكبر ازداد وعي الإنسان، زيادة وعي الإنسان، أما أن تجعل من الإيمان اكثر عمق او يطوف إلى سطح الوعي ويكون تابع غير ملزم بالنتائج، يرجع ذلك إلى مدى هشاشة الاعتقاد، كلما كان الاعتقاد الراسخ في الاذهان اقل قوة من الصعوبات؛ كان مدى تحمل الفرد للتقلبات نسبي وموت الإيمان مسالة وقت، خاصة ان المجتمعات هي عبارة عن دوامة كبيرة من الافكار المتنقلة ما بين اطرافها.

يطغى الإيمان المادي على الأفراد في تأصيل العلاقات الاجتماعية؛ عن طريق افتراض اشياء وهمية لا تمت للحقيقة بشيء، يكون تأثيرها عكسي بدرجة كبيرة!!

إذ يعد الاعتقاد بالفضيلة تأصيل للشرور الإنسانية، لا يوجد انسان يتسم بالخير المطلق، يجب اضفاء النسبية، الوعي بالحقائق لا يعني نكرانها، خاصة ان النكران يجسد نواة الذات البشرية،

مجرد اعتقادكم أنني شخص جيد يتحدث عن كمية الافكار الساذجة ويظهر لكم يا سادة أني شخص نبيلة، اعتقادكم بهذه الفكرة هو أيمان

مادي متأصل في نفوسكم يدعو إلى الحيرة، إذ يتغير الاعتقاد الذي رسمته في مخيلتكم فور اكتشاف اخطائي التي اشك ان يغفر الرب لي بسبب!!

لم يكن جحدٍ بنعم الله ورحمته لكن خوفاً مما سوف تسمعون من شخص قتل كل من حوله وشرع إلى تقديس الخطيئة على أصل الإيمان، قالت لي زوجتي قبل وفاتها لن يغفر الله لك يا عامر!!

هناك شعور بائس يدفعني للحديث عن مدى الحقائق الطاغية التي اخشى ان اقولها لكم، في لحظة واحدة سوف تكرهوني وتجعلوني موضع ازدراء لكم، هنا تكون عجلة الإيمان عكسية، بمعنى ان الإيمان المادي قابل للتغير ولا يتسم بالاعتقاد الجازم في اي مسائلة مهما كانت، خاصه انه يضطلع في العالم المادي، تفسير الوجود المادي للأيمان يخضع لتصرفات الافراد، قد تؤمن بأبيك او اخيك او شيخ دين او كاهن او رجل معمم، مع الوقت اما ان يكون الإيمان بانه شخص على حق او على خطأ، إن كان على حق او على باطل، تظهر تدريجياً لتتضح الحقائق التي تضعف وتقوي الإيمان.

الفصل السابع

فلاش باك

أثناء السير في باحة ثانوية كلية بغداد المختلطة للمتميزين، كان هناك كادر متميز من الاساتذة جمعوا الفنّ والحب والأبداع، كنت أحب أن أرى مدرستي صوفيا واستمع لحديثها في الصف وخارجة، كانت تدرسنا عن التاريخ والحروب والمراحل التي مر بها العراق، كانت تتحدث بحب وشغف، كنت حينها طالب ثالث متوسط وأستعد لامتحانات البكالوريا، كانت طيبة جدًا وتساعد من دون تردد.

سألتها يومًا عن مدى صدق التاريخ وهل كل ما ندرسه حقيقة ام هناك حقائق ناقصة؟ قالت انت تسال كثيرًا يا عامر وهذا أمر جميل، لكن عليكَ أن تكتفي بالقليل خيرًا لك، المعرفة مرض يصيبك مع الوقت بصداع يلازمك مدى الحياة.

واستكملت قولها، كل حقيقة هي مصدر للكذب، والكذب هو تأصيل للحقيقة التي يعيشها الإنسان، لأنهُ مقلد للكذب ولا يتسم بقول الحقيقة مطلقًا، وإن كان الأمر يأخذ حيز نسبي، لم نفهم شيء حينها، فقد كانت كلماتها صعبة الاستيعاب لكن كان فيها جمال، بالرغم من

عدم قدرتي على فهم كلمة مما قالت لكنها استطاعت ان تجذب انتباه الجميع، استمتعنا حينها لسماع حديثها.

اضافة قائلة؛ أنا ممكن ان اقول لكم أنني انسانه طيبة وجيده مع اهلي والاخرين، من خلال إظهار الجانب الايجابي لكم، اقولها بفخر وتعالي امام الجميع، لكن إذا كان الحديث يسترسلني لقول كلمات تظهر بشاعتي التي اخفيها عن الجميع لن اقول وسوف اكذب بإصرار؟

مثلاً عندما أصحح اجابتكم في اي اختبار اقوم به ينتابني الشعور بالخجل من نفسي؟ أشعر عن مدى عدم الامتنان من حضراتكم ليّ، إذ أجد اغلب الطلاب لم يجيب مثلما تحدثت ووضحت طيلة السنة او الفصل، معرفتي بكم ودرجة قياس الدرجة تنطلق من الاخلاق، لذلك لو قلت لكم ان نصف الحاضرين لا يستحقون النجاح ماذا سوف يكون رد على ذلك!!

أصبح الصمت يخيم على جميع الطلاب، ونظرة الينا لبرهه من الزمن؟ وقالت، هل علمتم ما كنت ارمي اليه.

نُمت بصعوبة بالغة تلك الليلة، كانت هناك العديد من الاسئلة التي تنهش صدري، انتابتني الدهشة والحيرة في آن واحد، تلك الطافة والبراءة قد تحمل زيف عميق، لم استطع تصديق ذلك، قسوة ممزوجة في اللين، خديعة تكمن في وسط الجمال، منذ ذاك اليوم وأنا اجد صعوبة في

التعامل مع مدرستي التي جعلتنا نستوعب ثمن الحقيقة، كانت مجرد دعابة حينها؛ لكن لما لم نستطع تقبل الامر من الداخل!!

كأن قنبلة سقطت في الصف، انتهى الفصل الدراسي الاول ولم نعتاد على الحقيقة، في الفصل الدراسي الثاني لم نجد صوفيا، حضر مدرس جديد يدعى مدحت؛ كان شخص معقد ومنطوي على نفسه، لم يمزح مع اي طالب طيلة فصل كامل ولم نستطع التحدث معه او حتى نناقشه في اي مسائلة، كان نصف الطلاب يخشون التغيب عن محاضرته ويجتهدون في مادته، بعدما كانت اكثر مادة لا نكترث لها ولا نخشاها،

الشك نتج عن معلومات مغلوطة وصلت الينا عبر مزحة، لم تكن مزحة بسيطة، لقد فقدنا الإيمان في المادة التي كانت تدرسها لنا المدرسة صوفيا، علمت صوفيا ذلك بسرعة، وغادرة من دون عودة، بعض الندوب التي تصيب الإنسان من الداخل لا يمكن ان يكون لها تفسير منطقي.

الأن علمت تمامًا ما كانت ترمي إليه مدرستي؛ فقدان الشغف هو من مخرجات الإيمان الزائف، مما يجعل الوعي المحرك الأساسي في إصدار الأحكام العقلانية، يكون الحكم فيها على مواضيع ذات جدال مع الإيمان.

العقلانية رهينة الأحداث المحيطة او المؤثرات المادية او المعنوية التي تغير تصور الأفراد تجاه أي موضوع معِن، أما الإيمان المادي يرتبط ايضًا بالرؤية المادية للفراد؛ إذ تطلق الاحكام على هذا الاساس، في حين الإيمان الديني يأخذ حيز أعمق.

حيث يجادل الإنسان مسائل خارج مدركه؟ مما يجعل من العقل الإنساني عاجز امامه بغض النظر عن رؤيتكم لعقائدية، لذلك فأنا أتفق مع ذلك الرأي وإن كان لا يعجبكم خوض هذا الحديث، ليست صدفة انما حقيقة مطلقة.

النقاش في مسائل لم يستقص الإنسان عنها خطيئة، فقد كانت السيدة صوفيا عندما تلقي المحاضرة علينا نقوم بكتابتها ونعود في بعض الاحيان إلى مراجع، كان الامر يتطلب جهد جهيد، اما الان بفضل التطور التكنلوجي أصبح أكثر سهوله فقد ينجز كل ذلك في ظرف ساعة واحدة بعدما كان يحتاج الى أيام لحل اي مسائلة كانت.

ماذا لو قالوا ليّ؛ عندما كُنت طالب في الثانوية، أن مسائل السيد مدحت أستطيع أن أجمع عليها اكثر من عشرة مراجع من عشرة دول مختلفة في ساعة واحدة، سوف يكون الجواب هراء؟

إذن المدرك يأخذ حيز في التفسير، اما الغير مدرك يجب التسليم إليه، العقلانية في تفسير النصوص الدينية تنم عن الإيمان، والأخير مرهون في مسائل خارقة للعقلانية في بعض الأحيان لكن مع تعاقب الزمن نجد ان الحقائق الدينية هي الاصل للوصول إلى الحقيقة.

الفصل الثامن

كان صوت هطول الأمطار جميلاً كلحن يسلب الشعور الوجداني من أعماق الإنسان، صحوة من غفوة؛ بعد أن تمالكني النعاس، نظرة إلى عقارب الساعة، شعرت بالفزع ،اوه؟ سوف أتأخر!!

كيف لي أن أنسى أمر مثل ذلك، كانت تشير الساعة إلى الثانية والنصف بعد الظهر، أعتقد أنَّ تأخرت على الموعد؛ لقد كبرت يا عامر؟ ذهبت تلك القوة والصحة التي كنت تتمتع بها، لكن كيف لي اللحاق بالموعد والجو ممطر؛ يجب ان أتحمل يجب أن التقي بهم، لقد وعدت فرمان ان أحضر ونلتقي لقد مر وقت طويل، يا ترى كيف سيبدو مظهره، هل غيرته الأيام وجعلت منه شخص لا أعرفه، جُل الذين عرفتهم تغيروا نحو الأسواء، لم يبدي الزمن اي اهتمام بأحبائي فقد جعل منهم أشخاص ممقوتين بالحقد والكراهية.

أعترف أن أصدقائي هم اللدّ اعدائي، طالما تقربت ممن كنت أمقتهم أشد المقُت؛ ولا يسعني ان أشكرهم على تلك اللحظات التي عشتها معهم، كانت أيام مليئة في البؤس والظلم والحرمان، أنا لا اقول لكم ذلك للانتقاص من أحد؛ لكن الحقيقة دائمًا لا يرغب أحد بسماعها، سوف

تعتقدون أنني مجنون وأهذي بكلامي، لكن انت نعم انت الذي تقرأ قد تمتلك شعور الضغينة أتجاهي، لسبب قد أعلمه أ, أجهله، هل هذا الشعور منعك من التقرب من مملكتي؟ بالطبع كلا!!

فقد بدأت بالولوج داخل مخيلتي وأفكاري، للوصل إلى الحقيقة التي تريد أن تعرفها، الاقتراب من أشد الناس كرهًا لا يعني اني شخص مجنون، هناك ازواج يبغضون بعضهم أشد البغض وهم يعيشون تحت سقف واحد، وأبناء لا يطيقون الآباء وبنات تكره الامهات وإن كان الاصل ان الجذع هو نتاج للكل والكل يؤدي بالجذع إلى النتاج الاخير، اي ان العملية معكوسة في ألية تبادل الكره هي عادلة تمامًا، إذ ان الافعال عباره عن حلقات متصلة مع بعضها،

كل ذلك كان مباح ومشروع لأنه لا يمثلني؛ فجأة أن ما افعله يكون غريباً، بئساً لكم، لا يهمني ما تقولون، فأنا أعي ما افعل وإن لم أكن كذلك فلا لأحد سلطة عليّ، أنا سيد نفسي هنا وليس أنتم، أغضبتكم قليلًا هي حقيقة بلهاء(قلتها وأنا اضحك على سبيل السخرية)، سوف يسخر الجميع من معتقداتك وتوجهاتك وأيمانك إن لم توافق على الأفكار البليدة التي يتقمصها الرعاع، كيف تستطيع اقناع ثلة من الجهلة أن ما يؤمنون به اليوم هو دخيل على معتقداتهم، وعندما تظهر الدليل لهم يقذفونك بالكفر والخطيئة لأنك أردت أناره بصيرتهم.

السير تحت المطر من دون مظلة، يوقظ شعور الحنين للذكريات إلى السنوات والايام التي كان يعيشها الإنسان حر بنفسه، بعيدًا عن الضوضاء التي أحدثها الفكر الإنساني، تغليب الأفكار المغلوطة داخل المجتمع تحاكي وقائع مبهمة، لا أحد يتفق عليها والجميع يقضون حياتهم في ترويجها وان كان عن طريق التضليل او الكره الكامن، عند محاولة أنهاء فكر ما او دحض فكرة معِنه؛ ليس عليك سوى ان تدعها وشأنها سوف تضمحل وتموت مع الوقت، هل فهمت ما أرمي اليه؟

بدأت اسمع صوت خافت!!

تفقدت جيبي الايمن؟

وذا بالهاتف يرن!!

رقم مجهول؟

يا الهي، ما هذا أنا أخشى الاتصالات التي تأتي من الغرباء، اكره المفاجأة!!

عندما يتصل أحد في أشعر بعدم الأمان؟

إذن، يجب عليّ أن أجيب، نعم؟

الو، نعم؟ من معِ!!

أين أنت يا رجل لقد تأخرت كثيرًا؟ عفواً من أنت؛ لقد كبرت كثيرًا يا عامر أصبحت كثير النسيان، أنا فرمان نحن في المقهى ومضى على وجودنا نصف ساعة؛ قلت لهُ اعتذر أنا الان متجه اليكم، اقتربت كثيرًا، ثم قال أسرع نحن بانتظارك، ومن ثم اغلق الهاتف!

اقتربت من المقهى كثيرًا، خالجني شعور بأن أبتعد، لكن للمرة الاولى التي أرفض تلك الغريزة ولا ألبي رغباتها، ذهبت إلى حيث يسود المنطق والعقل، خضعت للوعي، وإن كنت من أشد الكارهين له، دخلت وأنا متردد، كان التناقض يسود الواقع حينها، نظرة إلى الزاوية الشرقية من المقهى حيث نجلس عادةً، كان هناك أياد العجوز وبالقرب منه شاب يلبس لباس رسمي، لم أتخيل أن يكون فرمان هكذا مظهره، اقتربت كثيرًا، القيت التحية، نظر ليّ الشخص الذي يجلس بالقرب من أياد ويكاد الفضول يقتلني،

ماذا!!

يستحيل أن يكون هذا فرمان؟ انه لا زال شاب صغير في مُقتبل العمر،

قام أحدهم بصفعي على رأسي ويقول كيف حال الأحدب، لقب اطلقه عليّ فرمان عندما كنا زملاء في الجامعة، تيمنًا بالشر الذي احمله في داخلي، كانت نظرته ليّ هكذا منذ ذلك الوقت، نظرة اليه وإذا به

رجل مسُن هه هه هه قلت لهُ أنظر ما حلك بك، لكن لم تتغير يا فرمان، لا زلت تمتلك حس الدعابة يا احمق، لقد تغيرت كثيرًا يا عامر، هيّا اجلس هنا، لقد اشتقت لك، حاولت مرارًا التواصل معك لكن لم استطع،

لم تترك تلك العادة اللعينة؛ لا تكذب يا فرمان، أنت انشغلت وتركتنا خلفك وأتيت الان بعد نحو ثلاثون سنه تخبرني لم يتسنى لك الوقت للتواصل معِ، هراء؟ لكن من هذا الشاب الذي يجلس معنا، ليس من الادب ان نجلس معًا ولا اعرفه،

قال فرمان هذا أبني يا عامر، ماذا تقول يا فرمان؟ مختلف تمامًا عنك، في الهيكل والتفكير، وكيف عرفت يا عامر، وهل الامر بذلك التعقيد، واضح جدًا ان الافكار التي تفوح منه هي شرقية بامتياز وانت غربي العقل والتفكير؟ (المظهر يجسد مخرجات الفكر ولغة الجسد) أن عليّ صديقي قبل ان يكون أبني؛ ماذا قلت هل كان اسمه عليّ ومن ثم تنهدت،

صمت قليلًا وبدأ فرمان باسترسال الحديث،

ثم قال لماذا لم تتزوج يا عامر؟

لا تسألني، فقد نلت كفايتي من كل ذلك، أنا تعب جدًا، لا يمكن أجد زوجة مثل زوجتي ليلى!!

ومن ثم نظرة بلهفة على أبن فرمان وقلت لهُ كيف حالك يا عليّ، قال أنا بخير يا عمي، ومن ثم قلت لهُ هل لديك عمل خاص بك، قال كلا ،أنا طالب سنة أخيرة حقوق في جامعة ميونخ، تحدثت معه قليلًا بدأت افكاره علمية، فقد طرح تساؤل هل الحقوق المدنية أزلية أم وليدة تجربة الإنسان؟

كان عميقاً جدًا...

الفصل التاسع

عليك ان تعلم أمر واحد ان الحقوق تجسد تأصيل للوجود المادي للإنسان، فإذا كان الإنسان ينظر إلى وجوده وعدم وجوده أفعال لا تخرق القوانين الطبيعية فإن الحق هنا يتحول إلى عامل طرد، أما في حال نظرة الإنسان للحقوق بأنها مكتسبة ومقدسة ولا يمكن المساس بها وأن انتهاك اي حق من الحقوق يسترعي تدخل مباشر لحمايتها؟ فأنها تتحول إلى عامل جذب.

اما إذا كان تساؤلك يسعى إلى معرفة متى ظهرت المدنية، وهل هذا الحقوق وليدة تجربة الإنسان، فإن الإنسان هنا مؤصل للوجود، وكل ما يقوم به أو يتحرك لفعله قائم على التجربة السابقة، الخطيئة كانت يومًا ما فعل مشروع في مجتمعات نظرة لها من منظور أنها فعل مقدس كأن تقتل شخص بسبب اختلافه الفكري عنك، يعد جرم وانتهاك للحق الإلهي، لكن يخضع ذلك للتفسير الإنساني، إذ كيف يتعاطى مع الاحداث التي تحدث أمام عينيه،

جدلاً، أزلية الوجود لا يمكن أن يقر بها أحد، لأن الأزل بحد ذاته فعل سابق للخلق، وانت لا تحل محل الإله لتعلم ذلك العلم السابق على

الوجود المادي على أقل تقدير، على سبيل المعرفة عمرك لا يتجاوز خمسة وعشرون عامًا، تريد أن تجزم في مسألة ليس لها وقت محدد قد تكون ظهرت قبل ملايين السنين او مليارات السنوات،

يمكن القول إن الحقوق المدنية هي لاحقة بالإنسان التي تعلمها عن طريق العناية الإلهية وارشده اليها، فقد منح الله الإنسان عقل ومن خلال هذا العقل يستطيع أن يميز ما بين الخطأ والصواب وأن يسّن القوانين؟

قال على ماذا لو قلت لك يا سيد عامر أني أعارض فكرة وجود آلهة تدير الكون؟ قلت له حينها إذن أنت تعارض فكرة وجودك؛ حتى في الفكر الماركسي يفترض وجود فئة قائدة تحكم العالم وتدير شؤونه، كيف لك أن تأكل وتشرب وتمشي وتسافر وتفعل الكثير من الأشياء وانت جالس هنا، هل تستطيع؟ قال بالطبع كلا؟ لو قلت لكم الأن تأخرت على موعدنا لأنني كانت منهكم في رؤية سيارة متوقفة في الشارع وكان الدخان يخرج من محركها، وما شد انتباهي أنني رأيتها تصلح نفسها؟ وبالقرب منها كانت هناك معدات بناء تتطاير في الجوار لبناء منزل، مما جعلني اضطرر للانتظار ريثما ينتهي البناء الذي تقوم به الطبيعة لنفسها، ماذا تقولون في رواية هذه!!

رد على قائلاً؛ كيف لشخص عاقل أن يصدق الهراء الذي تقوله، وبدأ يضحك ليس وحده الجميع ضحك معه على قولي، تبسمت وقلت

لهم، هه هه إذن كيف تطلب مني أن أصدق عالم مترامي الأبعاد لم يكن له خالق؟

صمت الجميع، وبدت ملامح الدهشة تظهر على وجه علي، قال فرمان لا زالت تفعلها كما عهدتك، لقد أخرست الشاب،

قلت له، لم يكن هدفي، لقد سأل وأجبت له، اعتقد يا فرمان أن وجود علي في هذا العالم كان نتيجة لحظة ثقة، تعكر مزاج فرمان فورًا!!

أنا افترضت انهُ انسان جيد، على العكس منك يا فرمان؟

هل تعلم أكثر شيء فيك طالما كان يزعجني يا فرمان رؤيتك السطحية للأشياء، انت لا تقدر من يقف بجانبك، حتى هذا الفتى كان ضحية جديدة (يقصد بها علي)، انت لا تفرق بين النزوة والحب، انت لم تؤمن بنفسك؛ هل تظن أن ارتداءك للقبعة واقتناء ارقى الاشياء من محلات فاخرة تجلب لك السعادة، مخطئ تماماً؟ رد ساخرٍ على قولي، يجب ان اجرب النوم في العيادة للوصل للسعادة يا عامر.

يا فرمان عندما تؤمن بأحدهم سوف تدافع عنه حتى اخر رمق، الإيمان مؤلم جدًا لكن لهُ مذاق جميل جدًا، كل شيء سوف ينقضي ويذهب، وكأنه لم يوجد لكن تلك البقعة الصغيرة ستبقى في قلبك، لن تشفى مهما مرّ الزمن، أخطأت في العديد من المرات، ولكن سرعان ما اعدل عن الخطأ، هل تذكر عندما أمنت بك؛ خيبة أملي، ليس أنا وحدي، الجميع

خيبة أمالهم، تركت الجميع ورحلت في أول لحظة ضعف، ثم ماذا تعود بعد ثلاثين سنة، وتقول اشتقت لك بتلك البساطة، بحقك يا رجل.

والديك انتظروا سنوات طويلة لرؤيتك؟ توفيت والدتك واخر جملة قالتها، يارب أعتني بطفلي فرمان!!

وهمسة في أذني قائله، أن فرمان سيغدو من أمهر أطباء القلب؟ الحمدلله توفية قبل ان ترى المشهد الذي اراه؛

العيش من أجل تخليد حقيقة نؤمن بها أفضل من ان نقتات على افكار الاخرين، أيمانك هو الذي يحدد وجهتك القادمة، لا تجعل من طريقك يلتقي مع الجميع.

يجب ان يصنع الإنسان طريق خاص به، طريق لا يؤذي ومكمل لفعل الخير، أي ايمان لا يدفعك إلى فعل الخير هو أيمان مزيف، بغض عن التفسير المادي للخير، إذ يكون في بعض الاحيان ان تؤذي أحدهم في سبيل انقاذه، كما كنت تفعل؟ هل تذكر صالة العمليات كيف تعالج المرضى وفي نفس الوقت نضطر إلى قتل المرضى في حال استحالة شفائهم!!

الموت أسمى فكرة في الوجود،

قاطعنا علي قائلاً، الموت والازل واحد يا سيد عامر؟

قلت له، الجواب:

لم يكن الموت والأزل واحد، فأنت مثلاً لست أباك وأباك ليس انت، هل يصح أن نقول انت ووالدك واحد من حيثيات الوجود، قال بالطبع كلا يا سيدي؟(أرهقني جدًا بكلمة سيدي)، إذن والدك اسبق منك وهو سبب وجودك، نعم كذلك، لكن ما علاقتك ذلك بالموت والأزل، لا تستعجل يا ولدي، والدك يمثل الأزل وانت تمثل الموت، دائمًا الأزل سابق على الموت، لان فكرة الموت كحالة وجدت لمعالجة الوجود، فكل شيء موجود في هذا العالم معرض للتغير، التغيير أما يكون جذري او نوعي، انت عمرك الان خمسة وعشرون عامًا لو اصبح عمرك خمسة وثلاثون عام ولديك زوجة وطفل هل ستعيش بنفس المنزل الذي انت فيه؛ كلا احتاج لمنزل اكبر، إذن سوف تغير المنزل او تضيف إلى المنزل مساحة بطريقة او اخرى كأن تبني غرفة جديدة، لأن هناك طفلاً معك في البيت وامراءه، ايهما الاسبق المنزل ام الزوجة؛ أجب عن التساؤل ومن ثم سوف تعلم الحقيقة(قلتها لإرباكه قليلًا، استمتع في ذلك حقاً)...

نحن مدينين للموت بالكثير من الشكر، فقد تخلص من حمقى كثر في حياتنا، لولا وجوده لطغى الجميع وفعلوا الأفاعيل، بالرغم أني اشك بذلك، حتى الموت كفكرة مخيفة تجاوزها الإنسان الذي اضحى يعيش مع هالة مزيفة من الكذب والتدليس والتغيير في الوقائع للوصول للمتعة.

قال أياد أنا بدأت أشعر بالجوع والساعة تجاوزت الخامسة، ونحن لازلنا نتحدث في كلام لا قيمة له؛ من الأفضل أن نذهب إلى مطعم، شعرت حينها كآن أحدهم صفعني على وجهي بقضيب معدني، قلت لهُ إذ لم يكن قيمة لما نقول إذن لماذا انت تجلس معنا ولما اجتمعنا من الأساس.

نهضت وأنا يتملكني الغضب، حاول اياد ايقافي حينها، لكن لم تفلح مساعيه، فقد دخلت حالة من الغضب، لا أرى أي شيء أمامي، غادرة المقهى متجه إلى عيادتي، اصبحت اللعن تلك اللحظة التي جعلتني أذهب اليهم، لماذا أجلس مع شخص أبله واخر عاق لوالديه وولد وجد على سبيل الخطأ.

يمكن لأي جرح يشفى مع الأيام الا الخيبات التي يتعرض لها الإنسان من اقرب الناس اليه، تأتي ايام على المرء يتمنى أن يتقيأ قلبه لشدة الألم الذي يتلقاه ممن حوله؟

الفصل العاشر

عشت ثلاثون عام في عيادتي لم أنام خارجها مطلقًا، نالت روحي من السعادة مالم يناله أحد ابدًا، أنا الآن ادفع جزيه خروجي منها، كنت حينها استلذ بالوحدة التي عشتها، الجميع قال عني مجنون، مساكين لا يعلمون كنت أسخر مما يقولون، فاقد المتعة يعتقد أن كل سعادة هي وهم، ومن فقد الحب أعتقد أن الشغف خطيئة، الإنسان وحده من يحدد الخير أو الشر، نحن من يصنع المخاوف، لا يوجد شيء مريب في الخارج، رؤيتنا للخارج من الداخل يجعلنا حبيسَ جدران الوهم.

وفي طريق عودتي رأيت قطة سوداء صغيرة تمشي على الرصيف المؤدي إلى عيادتي بينما هناك مجموعة شباب مخمورين يرقصون ويصرخون من فرط النشوة التي وصلوا اليها، كان واحد منهم يراقب القطة الصغيرة التي تجاوزتهم بأمتار قليله ولم تسبب لهم أي أذى ،بدات حركات يده غريبة، كأنه يبحث عن شيء أسفل ظهره، وبعد لحظات ظهر بيده مسدس يصوب نحو القطة إلى ان ارداها قتيله، فزعت جدًا من ذلك المشهد، كنت أسير على جانب الحائط، بينما كان الناس مشغولون في أداة صلاة المغرب، أنا منهمك في التفكير، أحاول أن أهرب قبل أن يكون مصيري

مثل مصير القطة، بعد قتلها سمعت الرجل الذي يحمل المسدس يقول قتلت الحظ السيء وكانت سعادته غامرة حينها؟

ما ذنب القطة التي قتلت، هل للونها الأسود؟ لقد خلقها الله بهذه الهيئة، فلا يعاقب المرء على خلق الله له، عقول بليدة متحجرة جعلت من الموروث الشعبي يطغى على الاعتقاد الديني الأصولي، كما للإنسان حق في الحياة فإن للقطة حينها حق في البقاء، أنا لست متدين ولا ادعي الكمال، حاولت أن اقدم لها المساعدة لكن ثمنها سوف يكون حياتي، لا أعتقد أحدكم لديه الجرة أن يدفع حياته ثمنًا لها، وقفت في مكاني من دون حراك، خرج الناس من الجامع لم يقل أحد كلمة؟ استغربت من عدم المبالاة،

رأيت رجل دين معمم ينظر إلى القطة ويقول هي لعنة وتخلصنا بمشيئة الله منها، وبعد لحظات مر شيخ جامع بجوار القطة لينظر لمظهر القطة بازدراء ويضع قطعة من القماش على فمه، انتابني الفضول لرؤيتها، اقتربت قليلًا منها، فوجدت حيوان بريء أزهقت روحة مرمي على رصيف الطريق، كان بريق عينيها جميلاً!!

علمت حينها أن كل شخص يرى الأشياء من منظوره، هذا الأمر لم يشكك في ايماني واعتقادي بالله، فقد كنت مؤمن دائمًا بأن الإنسان يمثل نفسه لا غير، حتى المتدينين قد يمر عليهم يوم يصبحوا أفسق خلق

الله يعبدوه جهلاً، فأن تقيم الصلاة في المسجد أو الحسينية لا يعني أن أداء الصلاة داخلها، أن الصلاة مادية أما الأداة معنوية، تلزم المرء داخل وخارج المكان المخصص للصلاة وإن كان المنزل على اقل تقدير.

دخلت عيادتي والحزن المرير يعتريني، لم اكن قادر إحداث تغير وان كان طفيف، في هذا العالم، بدأت اخشى على اعتقادي ان يسلب مني عنوةً؟ حتى الوعي الذي احمله اصبح عرضة لخطر التغيير!!

التفسير الخاص للرؤية الدينية للأشياء المحيطة يتبع الوعي في الدين بالأصل، لا يتصور وجود رجل يحمل الدين في جوف قلبه يرضى بالأفعال الهجينة التي نسبة إلى الدين الاسلامي، تركت الحقيقة ملقاة على الرصيف وذهب أبحث عن الخديعة.

خاصة ان اصول العلاقات الاجتماعية مبنية على الخديعة والاحتيال، ان تكون انت في المساء وان تكون شخص اخر في الصبح، لا تمتلك قيم ومبادئ ثابته انت الناجح الذي يستطيع ان يعيش في ظل هذا المستنقع،

يمتلك كل انسان نافذة تطل على الحياة برمتها، فهو يستطيع ان يرى النور او يحجبه، هو فعل ارادي لم يكن للوعي دور كبير في ذلك، حيث ان الفطرة تدفع الإنسان للذهاب إلى العمل الصالح، إذ لا يوجد فرق بين الإيمان الصالح والعمل الصالح والشخص الصالح؟ ممكن ان يحمل

الإنسان صفتين اما اشتراط وجود الثالث في شخص واحد هذا ضرب من ضروب الحياة، الإيمان الصالح لا يعنى بالدين او التدين فقط، فقد يمتد إلى ان يكون ايمانك بوالديك انهم صالحين بغض النظر من رؤية العالم لهم، او ان ترى مديرك المستفز قاسي القلب شخص حنون فقد اعز ما يملك، وتغير تدريجياً؛ الافعال تكون ناتجة لعدم قدرته على خسارة اخرى في حياته مما يدفعه إلى وضع جدار أسمنتِ امام الجميع.

تطابق الإيمان الصالح المادي مع الإيمان الصالح الديني، يجعل من الشخص مثالي، هناك العديد ممن يتسمون بذلك لكن القليل ممن نعلم اين هم، عالم مليء بالحمقى والمتربصين والمصابين في مرض الفلسفة، يعتقدون ان الصلاح مرتبط بشخصهم يجعل من عملية استقصاء الإيمان الصالح ذو الجانب الديني صعب جدًا، إذ يمثل هؤلاء صفوة المجتمع ممن يدعون إلى التسامح ومحبة الاخر وتقبل حقيقته كما هو، وفي نفس الوقت يتعاملون بالمثل، كما تتعامل معِ اتعامل معك، احترم اعتقادك ليس ايمان به لكن احترامًا لاعتقادي لضمان سير الحياة.

العمل الصالح؛ لا يعني ان تؤمن بأحد بالضرورة، طبيعتك ان تكون جيد تحب مساعدة الاخرين ممن هم حولك، وان كان اعتقادهم يزعجك بغض النظر عن اعتقادك، ان تكون فلسفتك هي ارحم ترحم ساعد

تساعد، ان تقدم الكثير وترضى بالعدم، ان تكون شخص لطيف مع الإنسان والحيوان؟

مزج العمل الصالح مع رؤية اسلامية تتسم بالاعتدال، أمر في غاية الجمال، خاصة ان الدين الاسلامي أصل لوجود العمل الصالح وافترض وجودها مع وجود المؤمنين، ان تؤمن بان العمل الذي تقدم به خير للعالم مرتبط بالتعاليم الاسلامية السامية.

إذن انت مؤمن بالله وتستحق عفوه وجنته، هذا الاعتقاد يجسد من مخرجات الوعي الديني والالتزام الشامل بالتعاليم الالهية، اما اذا كان العمل الصالح الذي تقوم به ليرضى الناس عنك، وليقال فيك ان فلان جواد وكريم وشخص جيد، يساعد في ايجاد مجتمع متكامل، يكون عمل صالح لم ينبع المكنون الداخلي للإنسان، يتسم في مادية الوجود، وان كان يترتب عليه عقاب الهي فأن اي شخص غير ملزم في محاسبة الاخرين عن اي اعتقاد يعتقدون، او اي تصرف يظهر منهم، فأن المسائلة مرتبط بالحق الالهي، وطالما نحن في عالم تحكمه المادية النقدية علينا افتراض ان الخير في عمل كل انسان.

وان كان اصل الخير يرتكز على الفطرة الإنسانية، ولا يستند على الأسس الدينية، بغض النظر عن الرؤية الدينية التي ترى في الفطرة الإنسانية الصالحة هي تأصيل للرؤية العقائدية.

اجتماع تلك الصفات في جسد واحد يحتاج جهد جهي وضرب من ضروب الحظ، خاصة ان الإنسان يميل إلى الشر من دون ان يعرف، إذ يذهب إلى التزمت بالرأي الخاص به، وان استطاع ان يخفي ذلك لفترة من الزمن إلا ان في الاخر المخرجات التي تظهر منه توحي لذلك، البعض يقول ان المرء عندما يتقدم في العمر يكون اكثر حساسية في تعامله، على العكس الإنسان يولد نقي ويموت نقي؛ النقاء في مرحلة الإنسان الاخير تتجسد في اظهار الفكر المكبوت من الداخل، حيث يصل إلى اقصى حدود الانفجار في حال تعارضه مع فكر مضاد.

الفصل الحادي عشر

الاطفال دائمًا صادقون وكبار السن كذلك، لا اقول لكم هذا الكلام لأظهر لكم أنني شخص جيد وصادق، إن مسالة تصديقكم لي من عدمها لا تعني ليّ شيئاً(قلتها على سبيل الصراحة)، اقول ما اعتقد به بناءً على التجربة التي خضتها في غمار الحياة.

عندما يولد الإنسان يكون مجرد من الخطيئة نقي جدًا، لأنه لم يحتك بالعالم، إذ يكتسب الصفات الجيدة والسيئة من البيئة المحيطة، إذن الإنسان يتعلم عن طريق التجربة، لذلك لا يمكن ان يكون أنسان سيء وهو لا يعلم ماهية وجوده، لأنه لا يعلم ما هو السوء بعينه، اما عندما يكبر الإنسان، يصل إلى اقصى مراحل الوعي واشدها ألم، مما يدفعه إلى قول كل ما يؤمن به دفعة واحدة، لا يخشى اي شيء، إذ يعتقد ان الحياة وصلت إلى اخر محطاتها،

سوف يرحل كل ما تعتقد به؛ فقد رأيت الإنسان كيف ينحدر من السمو إلى الدونية في الحرب التي يخوضها لأجل متاع ونشوة زائلة، للحرب اصناف، اقسى انواع الحروب تلك التي تحدث ما بين الإنسان ونفسه، فقد يبدو احدهم صغيرًا في العمر، لكن في الحقيقة يبلغ من

العمر نحو الخمسون عامًا، في حين نجد حولنا شباب في مُقتبل العمر تبدوا ملامحهم ملامح أشخاص طاعنين في السن.

هناك من يستقبل الحياة بعد الخروج من وسط احشاء والدته؟ يقاتل ويصارع لأجل وجوده فلا تنفك منه الا ان تقتص منه، ومن يتركها تفعل ما تشاء به ويتعامل معها على هواها، تفتح له كلتا يديها وتحتضنه، لكل شيء ثمن؟

الاعتراف الذي انطق به جهرًا امام مرء ومسمع العالم كان ثمنه جزء كبير من نفسي التي فقدتها في خزانتي التي كانت بجواري واكتب بها احلامي وآمالي التي قتلت في سن الصبى!!

كنت اخشى ان أسقط من يدي قصعة خبز ويدوسها احدهم من دون قصد، اما الان هناك سلة مهملات مملوءة بالطعام، والقطة التي قتلت امام عيني ولم تجعلني أنام، كان ذنبها في قلبي اكبر بكثير من سعيد الذي قتلته بكلتا يدي، رباااه؟ ان الإنسان ظالم لنفسه، أي ارواح خسرنا وأي نقاء فقدنا.

التفكير في طلب المغفرة يجسد مغفرة في حد ذاتها، الإنسان ينطلق من الذات، إذ تجسد الذات البعد الاول والأخير لوجود الإنسان، لا يمكن تصور انسان يعيش مجرد من وجوده، الأصل في فلسفة العقاب

الضمير؟ طالما كان هناك ضمير يراقب ويحاسب الإنسان على أفعال فإن الإنسان موجود.

موت الإيمان يتمثل في موت الضمير، لأن الأول يتركز على الثاني والثاني معزز لوجود الاول، بغض النظر عما كان شكل الإيمان ديني أو ايمان مادي(اعلم أن العديد منكم لم يفهم ما اقول، لكن أنا على دراية بأن القليل يعي ما اقول وهذا الأمر كاف بالنسبة لي)، أن شدة الإيمان تميت الضمير، الإنسان يعيش مع قليل من الإيمان والقليل من الشك والقليل من الحب والقليل من الفرح والقليل من البؤس!!

توليفة الاعتقاد تشكل الإنسان العادي، عند حدوث اي خطأ في تلك التوليفة يصبح الإنسان مجنون في نظر العامة، وإن كان الاصل لا يعني ذلك، لكن الرؤية المجتمعِة التي تنبثق من الوعي الجمعِ للمجتمع لا تستطيع تحمل الاختلاف، الإنسان بفطرته يميل إلى الاتزان ويبحث عن الممكنات المادية التي لا تشكل فرقًا كبيرًا بين أعضاء المجتمع، إلا أن الممكنات المعنوية لا تكون محل استقصاء من قبل الوعي الجمعِ، لا اقول هذا الكلام للتقليل من شأنها؟ إلا أن مسألة اكتشافها وتغير المقادير ذات صعوبة بالغة، إذ يكتشفها اغلب الأشخاص في اخر حياته، ومن النادر أن يتمكن أحد في السيطرة عليها.

أن فن الممكن فيها صعب جدًا، قد تعتقد أن الوصول إليها سهل المنال والطريق يسير، إلا أنهُ عندما تدخل هكذا طرق لا يمكن لك الخروج منه الى الطريق المعبد، حيث ان اللذة فيها أعمق واكبر من اي شيء اخر يمكن أن تتوقعه، أنا الان اجلس في غرفتي وأخبركم بكل هذا الهراء الذي يمنحني سعادة غامرة.

يعيش الإنسان في وسط مجتمع كبير ومن ثم يتزوج وينجب أطفال لإكتشاف العالم؛ ومن ثم يعود تدريجيًا ويكتفي بالمنزل الذي يعيش فيه، ويستمر بالتضاؤل ليصل به الأمر إلى أن تصبح غرفته عالمه ومن ثم تتضاءل أكثر فأكثر حتى يكون الإنسان حبيس جدران قلبه، إمكانية معرفة تلك التغييرات التي تطرأ على اي شخص تنبثق من تصرفاته وكيف ينظر إلى العالم، خاصة أن اللغة تجسد أداة للتفكير، كل إنسان يتحدث بأسلوب مختلف عن أي شخص آخر إن لم يكن مقلد، وإن كانت اللغة التي يخاطب بها العالم واحده.

وسط دوامة الأفكار التي أعيشها وأنا مستلقي على الأريكة، منهك من ما مررت به، وان لم اعمل اليوم فقد كان وقت استراحتي؛ شعرت أن قواي خارت وجسدي خارج عن سيطرتي، غفوة لبرهه من الزمن؛ كانت لحظة أو ساعة من الزمن، استيقظت فزعٍ، لقد سمعت صوت غريب كأن

أحدهم قد قام بضرب جسدي بقوة، نهضت من الأريكة التي نمت عليها من دون وعي!!

تردد صوت في وسط الظلام المحدق، قائلاً لن تكفر عن خطيئتك، فعلت ما لم يفعله الشيطان، ما حدث لك لا يقارن بما سيحدث لك عندما تلقى الله، شعرت بخوف شديد هممت بسرعة إلى هاتفي لتشغيل سورة القرآن، أنا قلت لكم لست رجل متدين لكن السكينة أحظى بها عندما اسمع القرآن يبتعد عني الهوس القهري جراء ما يمر علي من اللأم.

مددت سجادتي ونظرت إلى القبلة، عجبًا لم يتغير مكانها؟ منذ مجيء خاتم الانبياء والرسل محمد (صل الله عليه وسلم) لم يتغير مكانها مطلقًا، كبرت تكبيرة الإحرام وفي وسط قول (الله أكبر) تساءلت لما أضم يدي على بعضهما لما لا أترك يدي بجوار جانبي وأسبلها؟ ترددت قليلًا ووضعت يدي اليمنى فوق اليسرى وبدأت في قراءة القرآن، بدأت في الفاتحة وقبل الانتهاء من الصلاة، أثناء التشهد الأخير، تساءلت ماذا يحدث لو لم ارفع السبابة أو تركها، عزمت قراري ورفعت السبابة، ثم أتممت صلاة ركعتين في منتصف، قلت في نفسي ماذا لو صليت ركعتين أخرى بطريقة مختلفة بدلاً من وضع يدي اليمنى على اليسرى تركتهما على جانبي، اي اسبلتهما، وبدلاً من رفع السبابة في التشهد لم ارفع السبابة، أتممت الصلاة، الشعور كان رائع، لم أجد فرق في أداء الصلاة؟.

التجارة في الدين تنطلق من المصالح الشخصية التي تدعوا إلى تسويق المثالية للوصل إلى مكاسب ثانوية ليس لها قيمة في الواقع الذي سوف تعيشه عند لقاء الله يوم الحشر!!

علمت حينها أن الطريق إلى الله وأحد، وهناك عدة طرق تذهب بنا إلى الله، أنا شخص سلفي متشدد على سبيل التجربة؟ لكن لا يعني أن أجعل اعتقادي ورؤيتي الدينية هي محل الواقع لكل من حولي، طالما نحن نتفق في مسألة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فإن الطريق إلى الله وأحد وأن اختلفت الأساليب؟

ففينا من يعرج إلى الله!!

وهناك من يزحف إلى الله؟

وهناك من يمشي إلى الله؛

وهناك من يركض إلى الله..

كل شخص فينا يعلم أين هو من تعاليم الله عزوجل، عندما تؤمن بعدالة الله لا يعني أن يكون ايمانك يجسد ايمان جماعة ما، أنا وانت نؤمن بأشياء معِنه تنطلق من الاعتقاد الجازم.

أنا مؤمن أن هناك من يقرأ ويقول انت إِمَّعة(اي لا أفقه شيء في الدين)، لا يهمني كيف تراني، جُل ما ارغب به أن اقول ان الطريق إلى الله واحد طالما أننا اتفقنا في الأصول والثوابت (اعتماد التكرر ليست

سذاجة انما اعلم ان الإنسان سريع النسيان وكثير التغافل ويحب التشكيك والتقليل من شأن الاخرين)، اما كيف تتعاطى مع الدين فلكل بيئة طريقة تتعامل مع الدين على أساسها، ففينا من يعتقد أن الدعاء وقت البكاء مستجاب وهناك من يعتقد أن السمو النفسي بالروح اطهر انواع الإيمان، وآخرون يعتقدون أن نؤمن عن طريق أشخاص في المجتمع هم من يرشدونا إلى الله هو افضل الإيمان، لان الإيمان حينها لا يشوبه الخطأ؟

قمة الإيمان أن تستشعر وجود الله في اسفل صدورك، الإيمان انطلاق معنوي ينبع من القلب، يدفعنا إلى فعل الخير للعوام والخواص، لا يمكن أن يكن من مخرجات الإيمان أفعال تنم عن الشر، لان الشر والإيمان متضادان لا يجتمعان مطلقًا!!

البعض يعتقد أن الفتوحات التي قامت بها الأمة الإسلامية هي غزوة؛ بربكم هل فتح الاندلس ونشر الثقافة العربية الإسلامية التي لا زالت معالمها إلى يومنا هذا هي مثل نشر الثقافة الغربية إلى العراق بعد العام (2003م) هه هه هه (قلتها على سبيل السخرية)،

أجزم بأن كل أفعال المسلمين كانت تحمل الخير، خاصة أن الإسلام أنتقل عن طريق العرب إلى العالم، والعرب هم أناس لهم عواطف ومشاعر تتأجج وتتأثر بفعل العوامل المحيطة، خطأ بعض رجال الدين لا يعني الخطأ من الدين نفسه، خاصة أن الدين مقدس ومنزهه ولا يشوبه الخطأ،

على حد اعتقادي يا قارئ العزيز، عليك أن تتحملني قليلًا، لقد قلت لك عزيزي أنا شخص كريم وسخي جدًا معك، قد تكون كلمة عزيزي هي ما كنت تحتاجها ولم تسمعها منذ زمن؟

أنا مجنون نوعا ما، لكن لم أفقد حس الإدراك بأن هناك من يضجر مني ويرغب في أن يراني ارتكب خطأ؟ اعلم أن الدين ملازم للقداسة والإنسان ملازم للخطأ فلا يمكن سلب القداسة من الدين أو إضفاء القداسة على الخطأ.

الفصل الثاني عشر

الفكرة التي تحدثت عنها قبل قليل كانت من أكبر مخاوفي وأخشى أن أجهر بها أمام الملء، أما الآن لا يسعني سوى أن أرثِ نفسي رثاءً يليق بها، فقد استطاعت أن تتعامل مع ثلة من الجهلة والحمقى ممن يرون أن الاعتقاد قائم على أساس الكفر والخطيئة،

نحن جيدون في إطلاق الأحكام الشرعية بالكفر على من يسمع الغناء ويشرب الخمر؟ أنا لا أقر بأن ما يفعلونه صحيح، لكن أعتقد أن احتلال ارض مقدسة مثل فلسطين يجب أن يأخذ حيزًا اكبر في نفوسنا، نساء تغتصب وأطفال تكبر وتشيب في السجون، ثكإلى انهكتها أزمات الحياة وتقلباتها؟ انت الآن تحمل بيدك ما كتبت لك؟ وتشرب كوبًا من الشاي وبدأت تلقّ الاحكام جزافً وتقول عني كافر؛ لما؟ هل لأني لم البي طموحك البائس بأن تضاجع نفسك!!

التحزب والتشدد لفرقة هو الظلم بحد ذاته، لم أجرب أن أتحدث بكل صراحة عما يجول في خاطري، لكن حان الوقت المناسب للتحدث وإن لم يكن ذلك الأمر عظيم لكم، الا ان هذا يمثلني من الداخل من عمق الجحيم التي اعيشها، إن توحيد أمة ولم الشمل والغاء الفرقة هو ضرب

من ضروب الخيال في الوقت الراهن؟ لكنني أراهن ان الوقت كفيل بأن يظهر زيف الحقائق الآنية، حبر اليوم سلاح الغد!!

تساؤلات أخذتني لعالم اخر في منتصف الليل؛ لكن يجب أن تصمت في عالم تحكمه المادية النقدية وفق الرؤى التراجيدية، وفي منتصف العاصفة؟ تسرب صوت الأذان من جهة الشرق إلى قلبي كان بارع جدًا عمر في أدقان مخارج الحروف، لم أتمالك دموعي بدأت تنهمر، وفي نفس للحظة ارتفع صوت أذان أخر من جهة الغرب علمت ان صوت عليّ لا يقل جمالاً عن صوت عمر ،ففيه عذوبه جعلت مني أجهش في البكاء، تذكرت حينها أن الإنسان بفطرته يؤمن بالخير وإن كان الأصل فيه الشر، الأنانية نابعة من اللاوعي الذاتي للإنسان، مما يصعب عليه أن يتقبل الحقائق المجردة.

ماذا لو افترضنا ان جميع سكان العالم دخلوا إلى الجحيم؟ هل سوف يؤثر ذلك في اعتقادي وايماني، بالطبع كلا.

ما شأني أنا؟ الجميع يعلم أين يذهب بهم الطريق الذي يسلكونه، لن يخاطر أحد بالذهاب نحو أي معركة ضارية من دون سلاح، إن فعل فإن الموت أمر لا مفر منه.

انهارت عتمة الليل وبزغ نور الشمس، اكتشاف الحقائق لا يتطلب جهدًا، ففي بعض الأحيان فقط عليك أن تتحين الوقت المناسب لترى

النور في وسط الظلام، بدأت أقترب من باب العيادة، لم أعلم ما دفعني أن أذهب لفتح باب العيادة في هذا الوقت ،لم تكن عادتي في أن أفتتح العيادة في وقت مبكر، وكأن هناك من دفعني للقيام بذلك، فتحت الباب ببطيء على غير العادة؟

توقف كل شيء!!

كأن اللحظة أصبحت عام؟

كذبة ما تراه عينايَّ!

لم أعتقد أن أرى او اشاهد مثل هذا المنظر، كانت جارتي سيدة عجوز تبلغ من العمر قرابة الثمانين عامًا، كنت أتصدق عليها بين الحين والآخر، ليس لها ذرية تعيش في منزل يتكون من غرفتين صغيرتين؛ كان أهل الحي يساعدونها، كانت تقف بالقرب من الباب؟ الغرفة التي تقع أمام باب منزلها كانت تقع امام باب عيادتي، كان هناك شاب يافع، عرفته من النظرة الأولى، كان معتز؟ أبن البقال الذي أشتري منه الحاجيات، كان جسدها نصف عاري وباقي الجسد حجب رؤيته معتز الذي كان عارً ايضاً، كان فعل قذر جدًا.

أطلت النظر إليهم، لم استطع أن أصدق ما أراه، اقتربت منهم، كانوا منهمكين في ممارسة الرذيلة، وأي رذيلة كانت!!

شاب لم يتجاوز الخامسة والثلاثون يمارس البغاء مع امرأة تخطت الثمانين سنة،

شاب عرف بإخلافه الحميدة، فقد رفض مواعدة جارتي الأرملة التي تصغره في خمسة سنوات، لا تسألوني كيف علمت بذلك، يأتي الجميع إليّ ويعترفون بذنوبهم؟ علمت حينها أنها لم تكن نزوه عابره؟ بعد أن لاحظوا وجودي كان الاوان قد فات، فقد أصبحت بمقربة منهم، أقذر شيء قد تقع عين انسان او حتى حيوان عليه...

عدت إلى عيادتي، أحاول أن أجد تفسير منطقي لما حدث لم استطع، استعت الهوة فقد اصبح بينهم مترٍ وخمسون عامًا؟ لم يذهب إلى الجسد حتمًا ولم تكن المرة الاولى، فقد كان الوضع معتاد عليه، كيف تنشئ هكذا علاقة، فوضى!!

مضت لحظات وذا بالعجوز الشمطاء تدخل إلى العيادة وتتوسل أن لا افشي سرها، تعاملت مع الأمر وكأنه لا يعنيني، لكن كان علي أن أطرح هذا السؤال.

يجب أن اعلم جوابه قبل أن أجن؟

قلت لها، سوف أبقى صامت بشرط أن تجيبي عن سؤالي!!

قالت من دون تردد نعم سوف اجيب، قلت لها لماذا دخلتي علاقة غرامية مع أبن عشيقك المتوفي!! الاغلب يعلم انكِ كنتِ تعشقين والد

معتز، الأمر ليس منطقي بالنسبة لي لا يمكن لأي شخص أخر ان يستوعب هذا؟

قالت؟ الطفل البكر أشدهم حبًا، (لا اعلم ما كانت ترمي اليه، فقد اشارت إلى اصغر الاطفال) واكملت حديثها قائلة أردت الانتقام من والدته، عفوًا؟ ما تقولينه كذب انتِ تحبيه، الأمر واضح هناك شغف ولذة من كلا الطرفين، قالت إذن يجب أن أجيب، نعم!!

أضافة قائلة زيارة الأماكن القديمة ينشر في روحك الذكريات الخالدة؛ لم يشاء أن يفعل اي شيء معِ في المرة الاولى لقد أجبرته على فعل ذلك في المرة الاولى والثانية والثالثة إلى أن أصبح مدمن على زيارتي؟

قلت لها ارحلي بسرعة أكاد أن اتقيأ من فرط سوء ما أسمع، غادرت وتركت رذيلتها تجوب عيادتي.

كلامها قاسٍ للحد الذي جعلني أعتقد أن الاحتكام للمنطق خطأ، يجب أن أذهب إلى ميزان الاعتقاد، وإن كان الأصل فيه مخالف لتأصيل الوجود، عجوز شمطاء لشدة بغضي لها لم ابوح باسمها لأي أحد؛ حتى لكم لن اقول أخشى أن يقع عليكم شيء مما وقع عليّ،

الطوفان حول الأجساد هل يجعل من الذكريات تتحرر؟ وان تحررت ما فائدتها فقد أصبحت الأفكار راسخة في عقول تفوح منها رائحة نتنة؛ الاعتياد يجعل من الأحداث الخطرة والمحظورة بدرجتها القصوى أقل

خطورة ومن ثم تصبح احداث لا تتسم بالخطورة لكنها أعمال سيئة إلى ان ينتهي بها الأمر إلى تكون مباحة ويدافع الجميع عن الأفكار المنحرفة، اعتقد ان الامر اصبح اكثر وضوح لكم، وان لم تشاطروني في الرأي يا سادة فأني اعلم ما حدث فقد شعرت فيه اكثر من اي احد اخر في هذا الوجود؟

الفصل الثالث عشر

الاعتياد لا يقل خطورة عن الإيمان، خاصة أن الاعتياد يدفع بنا إلى الاعتقاد والاعتقاد يجسد الرؤية الراسخة للأفكار السيئة بانها افكار جيده وندافع عنها بشراسة،

التغيير سمة الوجود الأبرز، بدأت أنظر إلى جارتي العجوز نظرة مملوءة بالحقد والضغينة، لم أقترب منها منذ ذلك اليوم؛ حاولت أن تتقرب مني أو تحدثني على أقل تقدير، كان الرفض ينبع من الداخل، لم استطع تقبل فكرة اقترابها مني!!

بعد عدة أيام سمعت صوت صراخ يأتي من منزل العجوز كانت الساعة قرابة الثانية بعد الظهر حيث اكتشف أحد الجيران أن العجوز انتحرت ومضى على موتها يومين، لم أستطع أن أصلي عليها او حتى أرى جنازتها،

بعد وفاتها في يومين...

كان هناك صوت بكاء يأتي من داخل منزل العجوز بعد وفاتها استمر لفترة من الزمن، انتابني الفضول لمعرفة مصدر الصوت، بدأت بالمراقبة وذا به معتز يزور منزل العجوز كل يوم ويبكي، صعب جدًا أن تصدقوا ما

اقول، لكن الاستمتاع في ممارسة الخطيئة والاعتياد عليها أشد أنواع الإدمان الذي يقع فيه الإنسان.

ضميرها قد عاد إلى الحياة ودفعها للانتحار وضمير معتز دفعه للحنين إليها، كان أمر مقرف حقًا، من وجهة نظري على اقل تقدير، قد يكون الأمر مختلف من وجهة نظر معتز، كل شخص يدافع عن أي قضية يؤمن بها مهما كان قبولها في داخل المجتمع.

وسط زحام الالم، شعرت ان النور نقشع من داخلي، استمتعت جدًا في تعذيب العجوز وعشيقها المدلل، كانت متعة لا يمكن نسيانها، فقد رأيت كيف ينحدر الإنسان من المثالية إلى الدونية ويسعى جاهدٍ لإخفاء حقيقة افعاله الشنيعة، الجميع يفعل ذلك، ويتلذذ في المعصية، طالما كانت المعصية لا يعلم بها احد، لقد اقترفت خطايا كثيرة في حياتي؟ اعظم تلك الذنوب التي ارتكبتها ان اكتب لكم الان تفاصيل حياتي واعتقادي وايماني ورؤيتي لعالم قد لا تؤمنون به مطلقًا، وقراءتكم لما اكتب كان بدافع قتل الوقت.

اعترف لكم يا سادة، انا لست متحمس لسماع ردود افعالكم، ولا يعنيني ما سوف يؤول اليه الامر، أنا مؤمن ان الصدق تجسيد للخطية الكبرى التي يمهد الإنسان لفعلها، وان كانت كينونة الصدق والخطيئة لا

يلتقيان في الاصول، الثابت في الصدق ينبع من الاعتراف المسبق للخطيئة التي يرتكبها الإنسان او يحاول ان يتجنبها،

النفس البشرية تتميز بالتعقيد، كل شخص في العالم أن استطاع ان يسرق سوف يسرق لا يردعه عن ذلك سوى الاخلاق التي لا أومن بها مطلقًا، لان الاخلاق ترتكز على الدين، اما الدين بمثابة شريعة ثابتة او دستور يتبعه الإنسان؟

إذن ماذا لو لم يوجد دين!!

ماذا لو لم يوجد دستور مدني يحدد اوامر المجتمع وضوابطه؟

سوف تكون السرقة عمل خارق يتفنّ العديد من الأشخاص في كيفية القيام بها.

استطيع ان اقول لكم الان...

المحدد الاصولي في توجيهه الإنسان هو فلسفة ثواب وعقاب، ففي حال عدم توفرها، شرع الإنسان إلى القيام بالكثير من الافعال التي سوف تؤدي تدريجياً إلى نزوله للبربرية، والغالب حتى المجتمع الحيواني يكون العيش فيه افضل من العيش في مجتمع انساني ليس فيه ضوابط واسس تحكمه.

تقييم المجتمع ينطلق من الإيمان الذي يؤمن به، وان كانت المسائلة نسبية في تحديد مهام واسس الاعتقاد في داخل المجتمعات، فإن الغالب

في تقدم اي مجتمع ينطلق من الفكرة التي يؤمن به المجتمع، كلما كانت الفكرة التي يؤمن بها جيدة دفعت به إلى التطور.

اما في حال كان الإيمان مجرد ينطلق من افعال لا تمت لماهية الإيمان الجيد فأن المجتمع تدريجياً يتجه نحو الدونية، قداسة الافكار التي تنشر عطرها في المجتمعات يجب ان لا تظهر في وسط المجتمع، بل يتحتم عليها ان تكون في أطرافه، وان كان مركز القوة في المنتصف اي فعل ما، الا ان هذه القوة وهمية اذا لم توجد مصادر تغذيه لها؟

الوازع الديني في المجتمع العراقي عبارة عن خليط غير متجانس ما بين فئات مختلفة تنظر إلى الدين نظرة مختلفة عن الاخرى، تجعل من فئات المجتمع العراقي تنصهر في بوتقة الإيمان؛ قلب المجتمع الاعتقاد، والاعتقاد خلق فئات متجانسة ذات نظرة شمولية، بغض النظر عن الاختلاف الموجود داخل المجتمع،

عند حدوث مشاكل وصدمات خارجية يرجع تأثيرها بشكل ايجابي في الداخل، لان المجتمع يتكون من فئات مختلفة ترفع من حدة الإيمان والاعتقاد بضرورة توفير الامان، التعايش في وسط مجتمع مختلف ثقافيًا يحتاج درجة كبيرة من الوعي، ففي حال فقدان ذلك الوعي؟ الإيمان الجيد يدفع بإفراد المجتمع لخلق السلام والوئام الذي لا يمكن ان يحدث من دون

وجود وعي جمعِ بضرورة اتباع التعاليم الدينية التي تعزز من لحمة وتماسك المجتمع.

خاصة ان المجتمع وفق الرؤية الدينية عبارة عن جسد متكامل لا يمكن ان يتخلى عن اي طرف من اطرافه، عندما يتم فقدان ذلك التوازن المتمثل في الإيمان، فأن انهيار المجتمع مسائلة وقت، مما يؤدي إلى انتشار خصائل البداوة والقبلية والعنصرية التي سوف تصبح العرف السائد وتجسد نواة المجتمع، الذي سوف يندثر تدريجياً!!

الفصل الرابع عشر

بعينين نصف مغمضتين استيقظ عامر ببطء على صوت بدء مألوف!!

نهض يتخبط في داخل العيادة للوصول إلى الباب، بعد عناء وصل إلى باب العيادة، وقد ظهرت عليه علامات التقدم بالسن، نظر إلى من يقف امام الباب وذا به أياد ومعه فرمان وعلي وهناك شخص لم أستطع التعرف عليه، أجبتهم بقول واحد فقط؛ من طلب منكم الحضور إلى هنا؟

أعتقد كنت تعلم جيدٍ يا أياد أنني لا ارغب برؤيتك البتة!!

لذلك لم اجيب على اتصالاتك؛ أصمت لا تتفوه بأي شيء، سمعت بعدها صوت كان مألوف للمرة الاولى، يقول لي، لم تتغير طباعك نفسها،

عفوًا من الي الذي يتحدث، قال أياد الم تعرفه؛ ظننت أنك سوف تتعرف عليه بسرعة، كانت نبرة صوته كأنها مخدر ليّ، فقد كانت كفيلة بأن اتوقف عن الحديث وانظر إلى الرجل الغريب الذي احضره أياد معه، كان ذو شعر بني مجعد ملامحة كانت توحي إلى رجل في الخمسينيات

من عمره، شعرت ان ظهوره بمثابة بداية للإعلان عن عالم مليء بالخير، سرعان ما تداركت الموقف، طلبت منهم الدخول؟

تغير مزاجي بشكل عكسي ومباشر، عندما تشعر بالأمان تجد الراحة التي تبعث عن الطمأنينة، حيث يوجد الامان يوجد السلام والوئام، لم اكترث لذلك القسم الذي قيدت نفسي به، عندما قسمت بإغلاظ الإيمان بان اخاصم أياد ولا ادعه يدخل حياتي مره اخرى، لكن في كل مره يعرف سبيل الخروج من المأزق ويعلم من اين يدخل إلى حياتي.

عم الهدوء قليلًا، ريثما اعددت الشاي وبدأت اقدم لهم واحدٍ تلوى الاخر، اعتذرت للمعاملة التي عاملتهم بها، إذ لم أعتاد على النوم وقت الظهير، طيلة الوقت حاولت ان اتذكر هذا الشخص الغريب، لم استطع؛ كأن صورته طبعة في داخل عقلي ولا يستحضرني اسمه، اصعب الخيانة التي يتعرض لها الإنسان عندما تخونه ذاكرته.

وسط الهدوء طرح هذا الشخص مثير للفضول سؤال، **(هل يستطيع الإنسان ان يعيش من دون ان يشعر بالحب)**، لم أبالي بسؤاله، إذ اعتقدت ان الحاضرين قادرين على الاجابة عن سؤال يدفع السم نحو القلب؛ كانت لغة الصمت حينها سائدة، لأسمعه يقول حتى انت يا عامر؟ كان وقح جدًا، أنا اجاهد نفسي لتذكره وهو يستمتع في التلاعب في مخيلتي.

لأول مره اصبح أنا الضحية ولست الجاني؛ يجلس وينظر ليّ نظرة مليئة بالراحة، لم أعلم حينها من أين يأتي بتلك الثقة، قلت لهُ اعرف جواب سؤالك؛ فضلت الصمت لمنح فرصة للحاضرين للرد عليك، المشاعر هي اظهار الكم الهائل للفلسفة التي تكمن في عمق ايي شخص، هناك من يستطيع ان يشعر بالحب لكن لا يمتلك تلك القدرة الكبيرة في اظهار الكم الهائل من العواطف إلى الخارج(حاولت الحصول على وقت اكثر لتذكره)،

قل أياد، هذا حسن يا عامر!

قلت لهُ من حسن؟

صديق الطفولة!!

قال حسن الارنب ملك الغابة هه هه هه!!

رباه هذا انت حقاً يا حسن؟ سر القبيلة لا زلت تحفظه بعد مرور سنوات طويلة؟

نعم أنا يا عامر يبدوا أنني تغيرت كثيرًا او انت اصبحت رجل خرف (قالها ساخراً)..

لم تتغير لكن قواي قد خارت والعمر تقدم وبدأت شيئًا فشيًا افقد حواسي، هل تذكر يا حسن جارتنا السيدة بديعة كانت كل يوم في مثل هذه الساعة تطعمنا قصعة خبز ساخنة؟

انت لا زلت عالق في الماضي يا عامر، عليك ان تنسى الذكريات لان الالم يشتد مع مرور الوقت، تتغدوا الذكريات ملجئ للبؤس،

لقد اشتقت لك كثيرًا لم اتخيل ان اراك مره اخرى، كنت اعتقد انك فارقة الحياة، لكن هي الحياة معقدة تفعل اشياء غير متوقعة وتأبى على فعل كل ما هو متوقع، المفاجأة هي سر الوجود والمتحكم في تحديد مسار العالم؟

نظرتنا للعالم مختلفة من كل شخص إلى اخر، قال حسن، هل عجزت عن الجواب على سؤالي هه هه هه، مما اغضبني وكان يعلم اين تقع نقطة ضعفي؟

قلت لهُ الجواب:

سؤالك يدفعنا للتميز ما بين الحب مسألة أخلاقية والحب مسألة فكرية!!

الحب مسألة أخلاقية تنبع من الذات الإنسانية، إذ يسيطر اللاوعي على الوعي الإنساني، مما يجعله منقاد إلى فعل أي شيء بهدف الوصول إلى الشخص المنشود أو حتى الحالة التي يصل إليها الإنسان، لأن الحب ذو بعد أخلاقي لا يقتصر على العواطف ما بين البشر فقد تمتد إلى حب الحيوانات، ودائمًا يكون الوعي غائب في هذه الحالة التي تتميز النساء بها، عندما تندفع النساء للدخول علاقة ولا ترغب في الخروج منها، يبقى

شعور الاحتياج ينبع من الداخل لذلك تسعى لإشباع تلك الغريزة الجائعة، وعند إشباعها تزداد الرغبة لدى المرأة، على العكس من الرجال ففي حال الوصول إلى درجة الاشباع من الحب كحالة أخلاقية يبدأ يشعر بالاكتفاء ويسعى إلى البحث عن بدائل للحب، اذكر انني قد عملت في مستشفى لأمراض النفسية والعقلية في بغداد، كانت هناك حالة لفتت انتباهي؛

امرأة تجلس في غرفتها طوال الوقت ولم تخرج منها مطلقًا طيلة فترة مكوثي هناك، التي استغرقت نحو ثلاثين يوم، فقد كان لدي تدريب ويجب أن أنجح فيه داخل المستشفى، وحاولت أن اكبح جماح رغبتي في الابتعاد عنها، لكن بائت محاولاتي بالفشل، كانت امرأة طبيعية، لم تفعل أي شيء يظهر أنها كانت فاقده عقلها، كنت أراقب أفعالها طوال الوقت، تصحو مبكرًا وتتناول وجبة الإفطار والغداء والعشاء بهدوء، لا تشارك أحد في كلامها؟

حاولت التحدث معها؟ الم يجدي الامر نفعًا، كانت تردد عبارة دائمًا، (**أنا فقدت نفسي قبل أن افتقدك مصيرنا وأحد والجحيم تتسع للجميع**)، اقتربت منها في أحد الأيام عندما رأيتها تبكي لأول مره، اعطيتها قنينة ماء، وقلت لها لا تبكي ليس هناك ما يستحق أن تجعلي

دموعك تنهمر عليه يا زينب (كان اسمها هذا)، رمقتني بنظرة حادة مليئة بالكره!!

قالت هناك من يستحق وهناك من لا يستحق أعتقد لم تصادف من يستحق وأصبحت ترى أن العالم كله لا يستحق، الاستحقاق نابع من الذات، عليك أن تحدد ما ترغب به وعلى هذا الأساس تحدد قيمة اي شيء، كانت عميقة جدًا، لم تثير غرابتي لأن اعتقادي بها كان في محله، طرحة عليها تساؤل، ما السبب الذي يجعلك تعتقدين أن هناك من يستحق أن نتجرع الألم لأجله.

اضافة قائلة، الاستحقاق في المشاعر غير مباح، أن تحب انت تفعل ما يرغمك عليه قلبك، انت تحب إذن أنت غير موجود، أنا لم اعد أنا؛ عند لحظات الغياب أشعر أن العالم يخنقني، ابتعدت وأنا أتساءل سر تلك الكلمات، بعد عشرة دقائق عاد المرضى من وقت خروجهم إلى غرفهم، ثم عادة إلى طبيعتها، ذهبت اليها مره أخرى لم تجيب كانت امرأة باردة المشاعر، بدء الفرق واضح لي حينها؟

علمت حينها، أن كينونة العاطفة عندما تسيطر على أحد لا يستطيع أن ينفك منها، اسوء ما يصيب المرء أن يكون عبد لقلب تائه لا يعلم أن يسلك اي الدروب للنجاة، **أن يغرق الإنسان في بركة من الوحل القذر افضل من أن يغرق في بركة من الحب**، عندما تغرق من غير وعي

أو دراية سوف يساعدك اي شخص يراف بحالك، لكن عندما تغرق بوعي فأنت هالك لا محال، سوف تدافع عن تلك الأفكار التي أسرتك وجعلت منك حبيس نفسك،

تمر على الإنسان لحظات لا يستطيع أن يكبح كل تلك الأزمات التي عاشها طيلة حياته، بالرغم من كل ذلك الوجع الذي تشاهده تجد أن هناك متعه يعيشها الإنسان بالألم الذي يتعرض له، علمت حينها أن للألم لذة تجعل منه يرغب في عدم التخلي عن ذلك الألم، ليس حبًا لكن رغبة في عدم ترك تلك المتعة.

الفصل الخامس عشر

الحب مسألة أخلاقية متجذرة في أصل الوجود، إذ يسعى الإنسان إلى خلق هالة من الوهم حوله للشعور بالاكتفاء، لا يمكن للمرء أن يتخلى عن أي فكرة إلا في حالة اكتفى منها ووصول إلى أقصى حدوده، وما يثبت أن زينب لم تكتفي كان عمق الحاجة في داخلها أكثر من أي رجل على وجه الأرض.

أما الحب مسألة فكرية، فأن الاختلاف يستند على الرؤية المادية للإنسان للحب، يتجسد في تجريد الحب من حالة الوهم، والتحكم فيه يستند على العقل، الذي يعد المحرك الأساسي للوعي، مما يجعل من الحب كفكرة أقل خطورة على المدى القريب؛ إلا أن خطورته تتمثل في المدى البعيد، أن التخلص منه تصبح مسألة مستحيل مع مرور الوقت، خاصة أن التشبع بفكرة الحب تدفع الافراد لتوجه نحو تحقيق النجاح للوصول إلى غاية معِنة.

الغاية تختلف في المسألة الأخلاقية، لأن المسألة الأخلاقية هي اكثر عرضه لتأثير العواطف التي تؤدي إلى ادلجة أفكار جديدة تجاه أي فكرة حب اخلاقية، يجعل من الحب الأخلاقي محور الوجود لأي شخص، في

حين أن الحب مسألة فكرية، يجعل من اي شخص قادر على التخلص من هذه الحالة، لكن نتائجها وخيمة جدًا.

إذ يرتبط في هذه الحالة شدة إدراك لدى الأفراد في التخلي مما يجعل من الحب يتحول إلى كرهه بنفس قدر الحب، مما يجعل العلاقة العاطفية تتحول من علاقة سلام إلى علاقة مملوءة بالكره والضغينة؟

الحب مسألة فكرية تتعلق غالبًا في الوجود، أن ترتبط النظرة الأولى للحب في الوجود المادي والمعنوي على حد سواء، إذ يحب بعض الأشخاص أن يتخيلوا واقع مختلف؛ يتمثل في صناعة السعادة، لكل انسان قدرة أن يفعل ذلك لكن قلة من يستطيعون أن يفعلوا ذلك، إذ يتطلب وعي مفرط يدفع به المرء إلى عالم ثاني، متجذر في الفكر الإنساني، وهذا ما يعتمده صناع القرار في عالمنا العربي؟ عملية تحويل الوهم إلى حقيقة فعلية على ارض الواقع، صناعة الأعداء عبر اعتناق نظرية المؤامرة، الحب أين محله هنا؟ حب التملك حب السلطة عدم الرغبة في التخلي عن الامتيازات التي يحظى بها أصحاب السلطة؟ مواجهة اي فكرة ومحاربتها تعني بالضرورة أن الشخص الذي يواجهها هو منقاد إليها؟

الحب مسالة اخلاقية والحب مسالة فكرية هو ايمان بحد ذاته، وهل يستطيع الإنسان ان يعيش من دون ايمان!!

قال حسن، الإنسان يختار الدرب الذي يرغب في ان يسلكه عن طريق التجربة يا عامر، لماذا لم تغير مسار حياتك البائس!!

قلت لهُ ما تقوله يا حسن أمر يحمل الرجحان؟

عندما نجد قداسة الحب تنتهك تحت وطأة الاعراف يصبح الحب زائف، عشت مع خطيئتي عندما علمت ان أيمانكم مزيف.

التجربة؟ احساس مغلوط يجسد الاختيار المسبق لأي أمر ما، عند الاختيار لا تكون التجربة معِار، قد يذهب الإنسان إلى ما هو ابعد، غريزة الفضول هي المحدد في اكتشاف المحيط، قلما يستخدم الإنسان الفضول معِار، كلما كان الإنسان فضولي عن الاشياء التي توجد حوله كلما دفعة إلى وعي اكثر، إلى ان يصبح الفضول طريق نحو التهلكة!!

أذكر قالت ليّ امرأة مسنة نصيحة لا زلت احتفظ بها في درج الامان الذي يقبع في وسط مخيلتي؟ قالت إياك ان تعود بنفس الطريق الذي ذهبت به إلى اي مكان، حيث يصبح الفضول هو المعِار السائد؛ لكن للأمان ضرورة اصولية تحتم عدم اللجوء إلى اي مخاطرة قد يدفع الإنسان ثمن باهض.

علمت ان التجربة وان كانت خاطئ تعد افضل الحلول الممكنة التي ممكن ان يلجئ اليها اي شخص للوصول إلى ماهية الاشياء التي يبحث عنها، إلا ان الاختيار يرجع في الاصل إلى الإنسان نفسه، بالرغم من

التجربة لا تمثل خيارنا، يكون الإنسان مجبر في خوض تجربة ما تفرضها الظروف السائدة في داخل المجتمع.

انت الان يا حسن تجلس معِ في عيادتي ولديك عائلة واطفال تعيش في سلام، تعتقد ان حياتي التي احياها جحيم؛ لان تصورك مبني على اساس وجود عائلة ترتب حياتك وتكملها، فيما أنا ارى ان الجحيم عينة يتجسد في حياتك البالية، إذ تسعى طيلة حياتك في البحث عن مصادر دخل مختلفة لضمان حياة افراد عاشوا معك بسبب الصدفة النسبية التي حكمة وجودهم وأصلت ابعاد خاصة في تكوين أسرة؟ فهل أنا على حق ام انت!!

تجربتان مختلفتان في عالم متوازي الابعاد، كل اعتقاد ينشئ بفعل تغيرات محيطة، ماذا لو أخذت انت مكاني وأنا اخذت مكانك، هنا يمكن ان اقول ان الجنة التي كنت أنت تعيشها تصبح جحيم دائم ليّ ومواطن سعادتي العارمة تكون قعر البؤس الذي سوف تراه؛ الاصول في الاعتياد وليس في التجربة، الجميع لديهم تجارب مختلفة من شخص لأخر إلا ان هناك شخص واحد عاش تلك التجربة مما جعلها جزء منه وليس العكس.

قال فرمان ساخراً ،لماذا في كل مره نجتمع معًا يصبح الحديث عبارة عن فلسفة وكلام غير مفهوم، ارغب في العودة إلى الايام الخوالي، يجب ان ننسى تلك الإلام؛ نحن هنا نجتمع منذ زمن، واشار في اصبع يده إلى أياد (كان يلمح لأمر ما؟)،

الفصل السادس عشر

قطع حديثنا قرع احدهم باب العيادة؟ نهضت وذهبت صوب باب العيادة وفتحت الباب وذا في ارى؛ رجل يبلغ نحو الخامس والاربعون عاما ومعه امراه يبلغ عمرها نحو اربعون سنة ومعهم فتاة لم تتجاوز الرابعة والعشرون عام وطفل يبلغ نحو خمسة اعوام.

كانت الدموع تنهمر من عيون المرأة، وأظهر الرجل ثبات وقدرة تحمل عالية، اما الفتاة فإنها بدأت مثل المومياء، جسد فاقد للروح والشغف، تداركت الموقف وطلبت منهم الدخول، ومن ثم طلبت من أياد وحسن وفرمان الخروج من العيادة لأن لدي حالة طارئ، لقد تفهموا الوضع، واتفقنا أن نلتقي في المساء،

قدمت للمرأة كوب من الماء لتهدئ قليلًا، بعد جلوسهم؛ ببرهه من الزمن طلبت منهم أن ينتظروا قليلًا ريثما أحضر لهم ضيافة جيدة، أنا لا أفعل ذلك من أجل أن يستلطفني أحد لكن الشعور بالأمان قد يكون هو الخطوة الأولى نحو الشفاء، قال الرجل بصوت مضطرب أتينا لعلاج أولادي!!

أولادك؟ لم افهم في المرآه الاولى ما كان يرمي إليه، هل تقصدك ابنتك؟ أجاب نعم فاطمة (كان اسم الفتاة) وأحمد (اسم الفتى الصغير)، ماذا سوف أعالج في طفل لم يتجاوز الخامسة من عمره وما هو الضرر الذي وقع عليه؟.

وافقت على ذلك، وطلبت أن أجلس مع كل واحد فيهم على حده، فقد كانت العيادة مقسمة إلى عدة أقسام، **غرفة استقبال في الشرق وغرفة نوم صغيرة في الشمال وغرفة صغيرة**(الغرف بمثابة أقسام للعيادة صغيره قياسًا بالغرف العادية) جدرانها زجاجية تتيح لمن يقف في الخارج رؤية كل شيء في الداخل؛ اما الذي يجلسون في الداخل لا يستطيعون رؤية اي شيء في الخارج، تقع في جهة الغرب عازلة للصوت (من اجل ان يستطيع المريض ان يتحدث بحرية)، طلبت من فاطمه أن تذهب معِ إلى الغرفة، بدأت بالصراخ؛ أمسكت يدها بلطف وقلت لها لا تخافي أنا هنا لحمايتك لن ادع أحد يصيبك بأي مكروه، هدئت قليلًا ومن ثم دخلت معِ إلى الغرفة؛ أثناء دخولها معِ إلى الغرفة وإلى ان جلست كانت تردد كلمات (سوف يقتلني أبي أنا لا اريد فعل ذلك سوف يعاقبنا الله عليه)، وبدأت استخدم اسلوبي الماكر في استدراجها للبوح عن مخاوفها!!

قالت، لقد زوجني ابي لشخص يبلغ من العمر خمسون عام وأنا كنت في السادسة عشر من عمري، لم يكن الخيار بيد ابي؟ فقد قام ابن عمي

أنس البالغ من العمر ثلاثون سنة قتل احد افراد القبائل المجاورة؟ ولم يكن في عائلتي فتاة راشدة سواي؛ أجبروا أبي على ان يزوجني العجوز الخرف، لأن اعراف القبيلة تقول ذلك؛ هراء!!

أنا لا استطيع النوم لهول ما رأيته لم يكن الامر سيئاً في زواجي من رجل يكبرني نحو ثلاثون عام، لكن ما كان يعمله معِ طيلة العام الذي بقيت لديه جعل روحي تتأكل من الداخل، فقد كان يتناوب هو وأولاده لممارس الجنس معِ؟ ظنًا بأن فعلتهم هذه سوف يحققوا الانتقام لأبنه وأخيهم؛ كلما كان يدخل احد على غرفتي يغتصبني أسمع صوت والدتهم تقول لا تقتلوها اريدها ان تبقى على قيد الحياة،

صمت من شدة ذهولي، هل من عاقل يفعل ذلك، وان كانت الفتاة قد تزوجه فأن زوجها يجب ان يحافظ على شرفها، حتى وان كانت عاهره فأنني استبعد فكرة ان يضاجع الاخوة نفس الفتاة وان كان في وقتين مختلفين، أنا لا أشكك في اصول الدين، لكن وان اباح الدين بهدف ايجاد مجتمع متكامل عبر زواج الاخ من زوجة اخيه بعد وفاته او الزواج من اخت زوجته بعد وفاتها ان لا استطيع ان افعل ذلك، لاعتقادي ان هذا الامر يؤثر سلبيًا في سلوكي ورويتي للعالم؟

لأن هناك علاقات تحتفظ في رؤية واحدة، وان كان القليل من يتقبل هذا الامر على سبيل التجربة، كيف ان يتم تصور وجود هكذا عقليات

تستطيع ان تتحمل مضاجعة فتاة قاصرة من عجوز وابنائه، قاطعة عصف افكاري بقولها، بعد مرور ما يقارب عامًا، لم ازور اهلي مطلقًا، تمادوا في فعل البغاء معِ حتى اصدقاء الاخوة والجيران وكل من كان من القبيلة يأتي ليتمتع معِ، وأنا اصرخ ارجوكم توقفوا لن يغفر الله لنا، تناوب الجميع على اغتصابي، حتى أبي شارك في ذلك، عندما سمح لهم ان يفعلوا ذلك في!!

حملت بطفل لا اعلم من والدة؟ ولم يسمحوا لي ان اذهب إلى اهلي ليتأكدوا أن حملي لن يصيبه اي مكروه وان يعيش في وسط عائلتي (لقيط)، بعد ولادتي لطفلي، سمحوا لي ان اذهب إلى اهلي!!

قلت لها خذي قنينة الماء واهدي، واكملي على رسلك، أنا لست في عجلة من امري، لكن قولي لي هل طلقك زوجك؟

قالت ومن قال لك انهُ قد تزوجني؛ لقد اخذني من منزلي واكتشفت اني اعمل جاريه لديهم ومحظ متعه جنسية للقبيلة وللعشيرة، فقد بات الشرف عمله رخيصة لا قيمة لها، والدين تاجر لا يروج لسلعة البؤساء.

نظرة إلى مكان جلوس ابيها الذي حفظت مكانه والغيظ يملئ قلبي؛ خرجت من الغرفة لدقيقة عندما رأى نظرتي له، طأطئ راسه إلى الاسفل شعر بأني بدات اعلم شيءً عن الماضي اللعينة، وثم عدت الى الغرفة الزجاجية واوصدت الباب؛ واكملت قائلة بعد ان عدت إلى منزل اهلي كنت اعتقد انني سوف احظى في معاملة افضل من تلك التي عشتها

طيلة عام كامل، وجدت أبي يريد قتلي أنا وطفلي الذي ليس له ذنب في كل ما حصل.

أنا افتقده بشدة!!

لقد اخذ طفلي الذي لا اعلم نسبه ولا يهمني ان اعلم لأنني اعلم شيء واحد فقط ان هذا الطفل عاش في احشائي تسعة اشهر وكان افضل شخص في حياتي، قتله أبي ودفنه في حديقة المنزل!!

أحظرني أبي إلى هنا ظن بأنني مجنونه، كل ما في الامر ان طفلي البالغ من العمر اربعة سنوات يجلس امامي الان ويقول لي لا تقلقي سوف اخذك معِ في المرة القادمة وفي كل مره يكذب؟

اشتقت بشدة لطفلي الصغير، لا احد يفهم أنني لا استطيع ان اعيش خارج الحديقة التي دفن فيها رفات طفلي، كل ما في الامر رفضت كل عروض الزواج، فقد حاولوا بيع المنزل ورفضت ذلك، رفضت فكرة الجلوس في الحديقة لأي احد اخر، يا سيدي هل للمقابر قداسة، اجبتها نعم، قالت كيف يطلبون مني ان ادع الجميع يجلسون في حديقة طفلي، لقد فعلوا الاسوء، بعد دفن طفلي في عام قام أبي بحفل طهور لأخي الصغير احمد فوق قبر ولدي!!

الشرف والعار مترادفتان، في هذه الحال ينطلق من هذه المفردات الإيمان الزائف في حقائق الاشياء، عندما تؤمن بعدالة السماء سوف تعلم ان كل ما يحدث مقدر، لكن الإنسان له حرية الاختيار.

هل تصدق يا سيد عامر ان عمي أحمد والد أنس الذي اوقعني بكل تلك المصائب قال لأبي؟ يجب ان يتم غسل عار ابنتك!!

وأبي وافق على ذلك فورًا، لو لم يمت أخي محمد لكنت أنا الان في عداد الموتى!!

الفصل السابع عشر

لقد كان محمد يحب رقية ابنت عمي شقيقة أنس الذي قتل احد ابناء القبيلة المجاورة، كان اخي يحبها وهي تحبه، لكن عمي واولاده رفضوا تزويج أخي، هل تعلم لماذا؟ لأن أخي لديه أخت عاهره؟ تزوجت لغسل خطيئة ابن عمها الذي بات ينظر اليها في ازدراء.

عندما ارتكب أنس الجريمة كانت شقيقته تبلغ من العمر تسعة سنوات وبعد ستة سنوات طلب اخي من أبي ان يتزوج ابنت عمي خلود التي يكبرها في خمسة اعوام، ذهب أبي إلى عمي وتحدث معه في هذا الخصوص(لقد كان مرتاحًا ويعتقد ان الامر على ما يرام وان التضحية سوف تأتي بثمارها).

قال عمي لأبي؛ لا استطيع ان ازوج ابنتي في عائلتك فأنا اخشى ان تتغير طباعها، قالها وهو ينظر في عيني وعين والدتي، التي بقيت صامته، لن افعلها مهما حاولت، بعد مده من الزمن قام بتزويجها لأبن شيخ القبيلة التي اغتصبتني، سعدت جدًا حينها، علمت ان ما حدث لي سوف يحدث لها، لان ذلك الفتى كان يتردد عليّ بين الحين والاخرى عندما كنت متزوجة لديهم، كان منحرف، لكن البؤس اكتمل عندما قرر

محمد ان يقتل نفسه حبًا لأبنت عمي، التي اصبحت ذائعة الصيت في انحرافها هناك.

هناك شيء انطفأ في قلبي ولن يعود مهما حاولت اعادته، قتلني من وثقت بهم، لا اعلم الجرم الذي اقترفته، جُل ما اعرفه أن قتلي اصبح أمر مقدس وأنا تجسيد للإثم والشر، يعتقدون ان علاجي في جلسة نفسية حمقاء، ان ما كسر في داخلي اكبر من ان تقوم الايام بإصلاحه، بكيت كثيرًا حتى كدت ان افقد بصري بعد وفاة أخي، كنت اتمنى ان يبقى على قيد الحياة، لكن هكذا هي الحياة وقراراتها المفاجأة؟ أخبرك سرٍ؛ أنا لست اسفة على موت أخي، فقد استحق ذلك، كم تمنيت ان ازهق روحه بيدي، استمتعت كثيرًا، عندما قتل نفسه، لو لم يفعل لفعلت أنا ذلك، فقد حفر قبر طفلي بيده وحاول قتلي في الليلة السابقة متفق مع أبي وعمي، انت لا تعلم حجم المتعة التي اعيشها الان، فقد بداء الجميع يتذوق من نفس الكأس التي تجرعت أنا منها، كنت انظر في عيونها، لم تكذب في أي حرف.

لم اتصور يومًا ان يصبح الإنسان بهذا الشر؛ النقاء الداخلي في لحظة واحدة يتحول إلى شر كامن يسعى إلى اشباع رغبته الجامحة، ان أردت ان تجعل اي شخص شريرًا عليك بكسر قلبه فقط؟ تأكدت حينها ان الإنسان كلما كانت جرعة الالم التي يتلقاها كبيرة كان اكثر قوة، ايماننا

من عدمه لا يشكل فرق وإن معتز كان صادقًا والعجوز التي انتحرت لم تنتحر لصحوة ضميرها؛ بل كانت جرعة الالم اكبر من قدرة تحملها وادى بها إلى السقوط في بركة بؤسها.

عليكِ ان تجاوزِ ذلك، مهما حدث وما يحدث لن يغير من الواقع شيء، ان قتل سكان العالم أجمع وتقليص عددهم من ثمانية مليار إلى مليار واحد لا يغير من حقيقة ان العالم فيه أناس، ولا يتغير لفظ وجود عالم، وان كان في الوجود أثنان او حتى واحد فقط؟ عندما خلق الله سيدنا آدم (عليه السلام) كان بمفرده ومن ثم خلق حواء من ضلع آدم، ونزلا إلى الارض كأنا أثنين، فهل يصح ان نقول ان العالم الذي يتكون من شخصين هو عالم مختلف عن العالم الذي يتكون من ثمانية مليار شخص، بالطبع كلا.

إن الشر الذي يقبع في داخلك لن يقتل احد سواكِ، عليكِ ان تستمتعي في الحياة، وان كان كلامي بالنسبة لك هو ضرب من ضروب الخيال، إلا ان الخيال هو الاعتقاد في أن بؤس العالم سوف يضيف لك السعادة او بؤسك سوف يضيف أسى على العالم، نحن نعيش في وسط جموع مهما حدث لنا لن يكترث أحد لموت أحد، الإنسان يتألم ومن ثم يبكي إلى ان ينسى ومن ثم يعتاد على النسيان.

طفلك رحل إلى السماء وأخيك رحل إلى الارض، تعتقدين انهما مختلفين، قالت كلا؟ قلت لها إذن قد يكون موت طفلك افضل من وجوده، فإذا كبر قليلًا اصبح اسواء ممن حوله او اكثر شرًا، نحن لا نعلم أي الافعال لنا خيرًا، الرضى اول علامات الرحة التي نبحث عنها!!

هل جربتي ان تنظري إلى والديك نظرة حب؛ كمية الحب التي تحملينها بداخلك لطفلك يحملها والديكِ لكِ، في كل مره يجب ان ينظر الإنسان من منظور مختلف ومن زاوية مختلفة للوصول إلى الحقيقة.

حاولت ان اجعلها امرأة تستطيع ان تعيش متصالحة مع ذاتها؛ محاولتي بات بالفشل، في كل لحظة يرق قلبها، أجد في وسط عيونها كرهة كامن لا اعتقد انها قادرة على التخلص منه على المدى القريب على اقل تقدير، ثم أطلقت ضحكة هستيرية وقالت نظرة حب وافتراض الخير ووصول إلى حقيقة، حتى الأحمق لا يصدق ما تقوله، قلت لها يا فاطمة ان الله مع المنكسرة قلوبهم؟

ردت عليّ قائله، لكن يا سيدي أين كان الله عندما اغتصبني الف رجل(قالتها كناية عن العدد الذي ضاجعها) وعندما قتل طفلي وعندما رقص الحمقى فوق قبرة احتفالاً لطهور ذلك المعتوه(كانت تقصد أخيها الصغر احمد)، فتحت باب الغرفة وطلبت منها الخروج؛ اقتربت مني وهمسة لي قائله حتى انت يا عامر؟

شدة الالم الذي يتعرض له الإنسان سوف يدفع به دخول طريقين بناءً على الرؤية التي يحملها الإنسان في أعماق روحه، اما ان يجعله يشعر بإيمان مطلق نحو الله وان كل عمل حدث هو حدث خيراً له او يدفعه إلى ان ينكر وجود الله؟ النكران نابع من قلة الوعي والتجربة وعدم القدرة على تحمل الازمات، أنا لا اقول ذلك دفاعًا عن فاطمة؛ لكن ما تعرضت له كان قاسيًا جدًا، حتى أنا فقدت ايمنها فيّ، بعدما اوهمتها ان الامان سوف تجده هنا (الغرفة الزجاجية) طلبت منها الخروج ،الالم المفرط يؤدي اما إلى سعادة مفرطة او بؤس مفرط.

حصل محمد على سعادة مفرطة عندما قرر الرحيل (قتل نفسة)، قلما يحدث هذا الامر في العالم مع عدد قليل نسبتًا بالعدد المهول الموجود في العالم، ان تمتلك القدرة على القضاء على روحك أمر جميل ان تكون نهايتك مرهونة بيدك؛ على العكس من فاطمة التي حصلت على بؤس مفرط لا يجعلها تجهز على تلك روحها، قررت ان تعيش للحصول على الثأر.

الانتقام يجعل من حياة اي شخص من عديمة القيمة إلى حياة ذات قيمة كبيرة، يصبح الثأر هو الهدف الاسمى الذي يرغب اي شخص يصل اليه، هناك من يسعى ان يثأر من نفسه واخر يرغب ان يثأر ممن حوله، الانتقام يأكل الإنسان من الداخل.

الحقد والبغض والضغينة التي يحملها أي انسان تجاه العالم بسبب قضية ما، تولد لديه شعور غير ارادي في اشباع تلك الرغبات، إذ انها تشبهه كثيرًا الرغبة في الحب وتكوين الصداقات، لا يمكن ان يستطيع الإنسان ان يقف تجاه رغباتها مهما كانت قوته سوف يأتي يوم ويضعف امام تلك النزوة التي تتملكه، كلما كان الإنسان يمتلك كمية اكبر من الحقد كانت رغبته في الانتقام اكبر، البيئة هي المحدد الرئيسي في توجهات الافراد، المألوف ان المرء عندما يؤذيه العالم يلجئ إلى عائلته، ماذا يحدث اذا اراد الهروب من العالم وعائلته؟ سوف يصبح شخص معتوه تائه يرغب في الحاق اكبر ضرر كل شخص يعترض طريقة؛ وهذا ما قالته فاطمة ليّ حتى انت يا عامر!!

فرط الاذى الذي يصيب الإنسان؟ يغير من طبيعة الفرد، بعض الجرح لا يمكن ان تشفى بسهوله، تقبل الإنسان للحقائق مقتصر على التجربة التي خاضها، الخذلان كفيل ان يحول الشخص الطيب إلى شخص أناني وانتهازي وسيء يمقت كل من حوله ،اصعب ما يتعرض له الإنسان هو ان يفقد ثقته بنفسه والاخرين، الايام ليست كفيلة في الشفاء والندوب التي خلفها الجرح سوف ترحل برحيل الإنسان من هذه الحياة، لا عدل يدوم ولا ظلم يبقى؛ الديالكتيك أصل الوجود.

الفصل الثامن عشر

خرجت فاطمة من الغرفة الزجاجية منهكة من كثرة التفكير، بدء عليها الاعياء؟ كانت عيونها تقول ليت لي حياة اخرى احياها لأزهقت روحي، اخذ بيدها والدها واجلسها بالقرب منه، الكره الذي يحمله الإنسان تجاه عائلته يضاهي اي كره اخر، يكره الإنسان بقدر الحب الذي يمتلكه، فكلما كان الحب كبير كان الكره اكبر؛ قبل ان أخذ بيد احمد الذي يبلغ من العمر خمسة سنوات طلب ان تدخل معه والدته؟ ووافقت على ذلك لعلاجهم سويًا، حاجة الإنسان إلى الامان تفوق حاجته للغذاء؛ قبل الدخول إلى الغرفة الزجاجية نظرة فاطمة إلى والدتها نظرة ترجمتها حينها كانت تدل على الغيرة والمقت تجاه عائلتها لانهم فضلوا اخيها الصغير عليها؟ اليأس الذي ظهر على ملامح والدتها كان كفيلاً ان يخبر الجميع عن حجم فقدان الامل في فاطمة، كانت القشة التي جعلت فاطمة تبكي وتضع رأسها بين قدميها، الشعور بالعار قاسٍ جدًا.

جلس احمد ووالدته قليلًا ريثما احضرت معداتي؟ كانت هناك طاولة بالقرب منهم وضعت عليها دميه قديمة واخرى جديدة وكتاب اسود

وكتاب ابيض، طلبت من احمد ان يختار كان متردد قليلًا، أنا لا اصدق كيف ليّ ان اقول لكم هذا الامر؟ متأكد ان العديد منكم يعتقد انني شخص ساخر، وما اقوله لا داعي لقوله مجرد هراء؛ لكن ما اكتشفته جعلني اصاب بالذهول حينها وأنا اعتقد سوف تأخذون نصيبكم من هذا، فقد قالت لي والدته انه كان كثير البكاء، وله ميول مختلف عن باقي الاطفال؛ دائمًا نجده يردد عبارات غير مفهومة، ويخشى والده، ويحب شقيقته فاطمة، وكثيرًا ما يرغب في البقاء بقربها وعندما يبكي تكون فاطمة حزينة، الاحداث الغريبة اثارة فضول العائلة، قلت لهُ هيّا يا احمد ايهم تريد (اشرت بيدي إلى الدمية القديمة ام الجديدة)، قال لا اريد اي واحده فيهم وكان حزين؟ سألته لماذا لا تريد الالعاب يا صغيري؟ اجاب؛

أنا لا احب الدمى؛ لأنها شريرة، سوف تؤذي ابي، إذن أخذ أحدى الدمى وقدمها هدية لفاطمة، فال لا أريدها فاطمة لا تحبها أيضا لأنها ضربة صادق على يده وجعلته يبكي؟ نظرة إلى والدته وقلت لها من هو صادق، قالت هو حفيدي الذي توفى بسبب المرض!!

متى ضربة الدمية يد صادق؟ في الأمس عندما كنت العب معه ،كانت فاطمة تضربه كل يوم، لأنه كان مشاغب وكثير الضوضاء مثل والده الراحل؛ لحظة دعني افهم يا صغيري، رجاءً سيدتي أجيبي عليّ هل

زوج ابنتك السابق متوفي ام على قيد الحياة؛ قالت نعم لقد مات في حادث سير؟ كانت فاطمة تركب معه في السيارة بعد زواجهما في غضون اسبوع، انقلبت حياتنا رأس على عقب، عائلة أصبحت تقتات على البؤس.

الديالكتيك أصل الوجود، لكل فعل هناك افعال مختلفة ومتباينة مضادة للفعل نفسة، كل واحد فيهم يرى الامر من منظور مختلف، فقد تغيرت الرؤى والتوجهات بناءً على تغيير الاحداث التي وقعت بفعل عامل واحد؛ وان كان الاصل ان الموقف واحد فأن تأصيل الموقف يتخضع لتفسيرات مختلفة، لكل تفسير شواهد معِنه يرى فيها المفسر سبب كافٍ في اعتماد التفسير الذي وصل اليه.

لكن ما هو رأيك يا احمد أن تختار احدى الكتب التي امامك، قال لا أريد، وبدء يبكي، قلت لهُ لماذا تبكي؛ قال لقد كرهنا ابي بسببها، ثم أضاف قائلاً ان الكتاب الاسود من أكثر الكتب التي يحبها ابي اليس كذلك يا أمي؟ نعم يا ولدي احب والدك مطالعة الكتب إلى أن نسينا من كثرة حبه للقراءة؟

أقسم لكم يا سادة بكل ما هو مقدس إن الإدمان على القراءة أخطر من الإدمان على المخدرات؟

نظرة والدة أحمد إلي وقالت، هل اتعلم أكثر ما كان يتمناه زوجي يا سيد عامر؟ هو أن يعيش مثل أي شخص أخر فقد كان يقول الحصول على قليل من التفكير مع قليل من البؤس مع قليل من السعادة أفضل من الإفراط بأحدهم، فجأة اخذ احمد الكتاب الاسود وقال ذكرى جميلة من والدي، لكن أنا أكره ابي فقد كان يضرب امي باستمرار وكان سعيدًا في بكاء أختي، مشاعر ممزوجة بين الحب والكره، تدفع بنا نحو الجنون لا محال، المشاكل التي يواجهها الإنسان وهو صغير تعيش وتموت معه.

اسواء ما في الذاكرة انها لا تنسى اللحظات المؤلمة لكنها تتغافل عن اللحظات الجميلة، يتذكر الإنسان ما يؤذيه، التغذية العكسية للوعي تجاه الأحداث يكون بناءً على قلة وشدة الوعي، أن تدرك ما حولك سوف يؤدي بك إلى أن تصبح شخص ساذج في مجتمع واعي، خاصةً أن الوعي يتم قياسه على معِار الوعي الجمعِ للمجتمع الناشئ، وليس العكس.

خرج احمد ووالدته من الغرفة الزجاجية وكانوا منهكين جدًا كأن خطاياهم كثرة، طلبت من والدهم ان يدخل معِ إلى الغرفة الزجاجية لكنه رفض الحديث، كان شديد القوة، حينها شعرت بالراحة العارمة التي تصيب قاع الروح، لا اخفي عن حضراتكم تفاجأت من شخصية هذا الرجل، حتى أنه لم يبح لي باسمه ولم يقل لي أولاده وزوجته اسمه لي؟ كان بمثابة العامود الذي يقف عليه سقف العيادة حينها،

القوة لا تتولد من فراغ، عندما يولد الإنسان اما ان يكون ذكر او انثى ليس له القدرة على الاعتراض؟ الوجود سابق للماهية والاختيار يمثل توليفة للخصائص لفعلية لوجوده(لا اقول ذلك لأشغالكم عن صلب الموضوع لكن الامر يتطلب ذلك)، المنازل القديمة المتهالكة لم تكن يومًا على حالها التي وصلت اليها، الامتداد الزمني يجسد العنصر المؤثر بطريقة او بأخرى، لا يتغير شكل المنزل مع الوقت؛ إلا ان المواد التي ساعدت في تكوينه تصبح اقل قوة وان ظهر على عكس ما يبدوا؛ التجربة محدد اساسي في تأصيل وجود الإنسان، الحنين اليها يخالج الأرواح، قيمة اي شيء ترتفع طرديًا في ارتفاع اسعارها(ماديًا).

القيمة الاساسية تتكون في القيمة الروحية(المعنوية) إذ تأخذ بعض الاشياء حيزًا كبيرًا بالرغم من ان الزمن قد مضى عليها(المنزل القديم مثلاً)، كان والد احمد وفاطمة بالرغم من القوة التي يبديها الا انه اضحى اكثر ضعف وقوة في ان واحد، حيث اصبح ضعيف في عدم قدرته على الكلام والبوح ما في داخلة، ويمتلك قوة كبيرة في بقائه صامتً، وان كان الثاني فعل طردي للأول إلا ان السائد ان هناك الكثير من الأشخاص لا يقدرون هذا.

عندما ارادوا الخروج من العيادة بدت ملامح الشقاء على العائلة، فقد ازداد بؤسهم، إلا الاب خرج مثلما دخل لم يتغير فيه شيء، مثل الذي

تعرض للمرض وجاهد نفسه على ان لا يشرب الترياق، كان الالم اكبر عليه، في حين ان العائلة شربوا الترياق مما خفف حدة الالم قياسًا برب الاسرة، لكن لكل ترياق اعراض جانبية أثرت عليهم؟ اضعف مناعتهم تجاه الامراض الاخرى.

نجحت في علاجهم واخراج السم القابع في اجسادهم، والتقليل من درجة تأثيره، وفي نفس الوقت فشلت في تصحيح افكار فاطمة وتصوراتها المغلوطة تجاه بيئتها المحيطة، اما احمد كان السم الذي دس في افكار اكبر لان الوعي لديه اقل، الام عجزت من مرض اطفالها فقررت ان تذهب حيثما يذهبون.

حقيقة بائسة...

الله يلطف بالعبد الذي يلطف بنفسه ولا يحملها مالا طاقة لها به، ان تقرر الذهاب مع من؟ انت تحدد ذلك، ليس كل طريق معبد يصلح ان تسير فيه فقد يكون قيد الانشاء، المصابيح المنتشرة في الطرقات لم يكن غرضها ارشادك نحو طريق الصواب، انما تهدف إلى اشاعة الظلام!! لانها تدفع بك نحو طريق مخطط له سلفًا، ان تعيش حياة افضل يجب ان تفكر اقل، كلما كان فكرك واسع كان بؤسك اكبر، الراحة في اختيار المألوف وان كان العكس هو الاصل في الوجود.

الفصل التاسع عشر

قياس قوة العقل تعتمد على مدى قدرة العقل على تقبل الحقيقة المجردة؛ اما قياس قوة الجسد ترتكز على مدى قدرة الجسد على التحمل من دون طعام او شراب، القوة والقدرة تكمن في امكانية الاستغناء عن الحاجات الاساسية للإنسان(المادية)، الا ان واقع التأثير اكبر للحاجات (المعنوية) للإنسان، الاستغناء في الحالة الثانية يتطلب جهد مرير قد يدفع الإنسان ثمن باهض للتخلص من تلك التركة الكبيرة يستغرق اعوام للتعافي منها.

الفقدان والحرمان والاذى النفسي هو الطاغي على حياة اي فرد، إذ يظهر البؤس في اعلى مراحله عند الفقراء والاغنياء على حد سواء، فلسفة السعادة لا تتطلب كمية كبيرة من المال، القليل من المال مع القليل من الرضى من شأنه ان يجعل من العالم المتهالك إلى عالم مليء بالنور الذي يسطع في وسط الازقة المظلمة.

كانت ايام ثقيلة تمر عليّ في ارذل العمر، لم اكن اتصور ان تكون الحياة بتلك الصعوبة، اعتقدت انه كلما تقدم الإنسان في العمر كانت الحياة اقل بؤس وشقاء، أمنت لفترة طويلة في فكرة مخيبة للآمال،

رجل يعيش في المنفى، استطعت ان احياء مثل حياة الجميع، لكن لم يروق لي الامر، اخترت ان اذهب في طريق لم يسير فيه الجموع، احدثكم عن مدى اسفي في هدر تلك السنين وأنا جالس في عيادتي النتنه؟ اعيش فيها من دون قيود او شروط يفرضها احد عليّ، هل تعتقدون تلك حرية ام عبودية؛ لازلت عالق في الماضي، لم اتمكن من الخروج من تلك الحقبة مهما اجتهدت وحاولت بكل قوة بقيت في مكاني.

الحقائق التي علمت بها لم تمنحني السلام، فقد اخذت جزء كبير مني؟ كل حقيقة علمت بها؛ كان لها ثمن باهض، لم يتطلب الامر ان ادفع المال، لكنني دفعت جزءً كبير من روحي في كل حقيقة علمتها، ان الصدق الذي يلاصق اعماق الوجود يجب ان يبقى طيّ الكتمان، انتم لا تقدرون تلك المشاعر التي مزقت جسدي وخرجت عن طريق الإيمان، ليكن الإيمان مُغلف في زيف الحقائق.

إن العبد يعاتب ربهُ؛ الأيام الثقيلة تُجهد القلب قبل الجسد، يتضرع العبد لله، ويحتاج اجابه؟ إذ تمثل ابتسامة احدى الماريّن ليّ في الطرقات مؤشر على حب الله لك ورضائه عنكَ، إذا اقتربت من الله يجب ان تشعر في الأمان؟ وإن لم تشعر في ذلك ليس عليك سوى ان تغادر نفسك القديمة؛ وتجدد ايمانك، حتى تكتشف ذلك الإيمان الذي يقبع في عمق روحك، يدفعك لتحقيق الخير، الإيمان لا يعني الاغتراب!!

المشاعر التي تسيطر على الإنسان وهو يعيش في عالم بالضد من افكاره وايمانه واعتقاده يدفع به نحو الهاوية ،حيث الشقاء والحنين إلى العودة للاوعي الذي يصيب الإنسان في الفطرة، الالم الذي تتعرض له في مقابلة السفهاء من الناس والحمقى والاغبياء يضيف إلى اوجاعك وجع جديد يعرف باسم (الانكفاء على الذات).

حالة تصيب من حاول اكتشاف الحقيقة التي تدور حولة، تجعل من هذا الشخص عباره عن احمق وابله ومجنون في نظر المجتمع، لكن الاصل في ذلك ان تكون شجاع بذلك القدر الذي يدفعك نحو البحث على الحقيقة التي يخشاها الجميع، يجعل من هذا الشخص غير قادر على التعامل مع الاخرين، يطلق الاحكام جزافًا على الجميع؟ وينسى نفسه التي أصلت الخذلان وأسست الابعاد العامة للتفكير المغلوط، هنا يكون الاغتراب الحل الامثل لتحقيق الخلاص الذاتي من تركة الحقيقة الباهظة التي تجرعها الإنسان بسبب فضوله .

هل تصدقون؟ لم أشعر بالخوف طيلة حياتي من اي شيء تعرضت له؛ واجهت كل تلك الصعاب بعناد بالغ، كانت نشوة الشباب طاغية عليّ، اما الان؟ اصبحت اخشى الصمت الذي يسيطر على حياتي.

الضوضاء تجسد الراحة؛ واسواء ما يمر به الإنسان ان يكون جسده هزيل وافعاله بارده وكلامة هادئ وفي عقلة براكين من التفكير، اذى الافكار لا يمحى، والالم الذي يتعرض له الإنسان لا يزول بسهولة.

احدثكم وأنا جالس امام عيادتي التي عشت فيها اكثر مما عشت في بيت ابي؟ حصلت نفسي على الكثير من الحب والتقدير فيها اكثر من اي شيء اخر؛ مر في حياتي الكثير من الصالحين، حالوا كثيرًا ان يغيروا من طباعي، ان اترك وحدتي، أذكر حينها ان هناك فتاة شابة تسير مع والدتها؛ مرت بجواري؟ قالت بصوت خافت انظريّ يا أمي إلى ذلك الرجل المسن كيف نظر إلى السماء مثل الطفل الصغير، وكيف يحدق بالمارة ذهابًا وايابًا؛ قالت والدتها اصبح هذا الرجل خرف بعد فقدان عائلته في حادث غامض، أيّاكِ أن تقتربِ منه؛ كان كلامها قاسيًا جدًا!!

الفصل العشرون

قبل احد عشر عام كنت ارغب في الخروج من عيادتي للذهاب إلى الاسواق القريبة من عيادتي لشراء طعام العشاء، واثناء الخروج سمعت صراخ امرأة تستغيث؟ كان هناك رجلين مخمورين يقفون بالقرب من امرأة علمت حينها انهم يرغبون في اغتصابها، هرعت لنجدتها، اشتبكت معهم قاموا بضربي ضرب مبرح لمدة ساعة كاملة، ارادوا قتلي؛ لم ينقذني سوى اصوات صافرات دوريات الشرطة التي تتجول في احياء بغداد حينها.

نهضت بصعوبة والدماء تسقط من فمي ورأسي، نظرة إلى تلك المرأة التي لا يمكن ان انسى ملامحها ما حييت هي نفسها التي صرخت قائلة (انجدوني هذا المجنون يحاول اغتصابِ؟)، تخدرت اعصابي وتبلدة مشاعري حينها، اجتمع الناس بسرعة حولنا، بالكاد وقفت على قدمي حتى قام مجموعة من شباب الحي ورجالة وشيوخه في قول أعنف العبارات عليّ، وضربِ في كل انحاء جسدي، نظرة إلى عيون تلك المرأة كانت تشعر بلذة النصر!!

يؤسفني ان اقول لكم أنا لم اعلم الفرق بين الصرختين التي صرختها تلك المرأة حينها، فعندما صرخة لأول مرة لبيت مساعدتها وقاتلت

بشراسة للحفاظ على شرفها من الأتساخ؛ في حين لم يسمع ابناء الحي سوى الصرخة الثانية، بعد ضربي لمدة طويلة لم استطع النهوض؟ كان جسدي يفترش الارض كفراش لهُ، وأنا افكر في الفرق بين الصرخة الاولى والصرخة الثانية.

الصرخة الاولى هي صرخة ضمير؟ خبث يكسوا الجسد، وكره مؤطر في مفاهيم وجدانية خاطئة، عندما يصبح الإنسان مستمتع في ممارسة الرذيلة وارتكاب الخبائث، يكون الجسد وعاء يحمل الخطيئة ويصدرها إلى الخارج، تتمثل في الإيمان الخاطئ والبحث عن اللذة!!

العلة ليست في الجسد انما في القلب، حيث يسيطر عليه اعتقاد خالص في تبني مفاهيم خاطئ لتحقيق الرغبة، وفي منتصف مستنقع الرذيلة يصحوا الضمير من سباته العميق ليناظر الواقع وينصدم به، يدفعه ذلك إلى الخروج من صمته، يتمرد على القلب؛ لكن لا يدوم ذلك كثيرًا سرعان ما يستعيد القلب هيمنته على القلب العاق، يصاحب هكذا أشخاص التميز في النكران والأنانية وشعور الحقد تجاه الاخرين، وعدم الامتنان، واستغلال مفرط.

أما الثانية هيّ صرخت حقيقة؟ قلب خبيث؛ وجسد نقي، طهارة وعفة تكسوا الجسد، عالم مثالي؟ تغيير الحقائق، الانقلاب على العرف السائد؛ الكذب محل الصدق، والصدق لا يقوا ان يفعل شيء امام حيل

الكذب الكبيرة؛ اظهار الحقيقة المجردة امام العالم برمته بأن الكذب بريء والصدق خبيث، محدودية الوعي الجمعِ للمجتمع السائد هي التي تعزز او تحد من شدة تلك الافكار، حقيقة مغلفة في صدق مطلق يقتصر على جوانب معِنه ويضلل جوانب اخرى.

كانت والدة الفتاة التي مرت بجواري هيّ وابنتها؟ هيّا نفسها تلك الشابة التي انقذتها قبل احد عشر سنة، لازال الجميع يجهل حقيقتها؛ إلا أنا!! علمت في تلك الليل اي عمل كانت تعمل، جسد تغلف في العفة والطهارة التي تظهر للجميع تختلف عن القذارة التي يراها العالم يحيط بها، لم يرغب احد في الاعتراف في تلك الجريمة التي وقعت منذ سنين، لم يصدقني احد!!

اكتفيت في مشاهدة الحقيقة في عيونها، الحقيقة التي يجهلها الجميع كانت تسكن في اعماق الصدف التي تجمعنا، طوال احد عشر سنة؛ تغيير سلوكها، فقد مرت من امام عيادتي الالف المرات، نادرًا ان يمر يوم ولا تمر من امام عيادتي، أخبرني الجميع انها تمقت رؤية وجهي، لكن ما أراه فيها حب عبر الزمن، استمتعت في مراقبتي مرارًا لأيام طويله، لم تستطيع ان تقترب مني؛ أنا كنت من يتحكم في رسم ملامح العلاقة.

الذنب هو ما كان يدفعها لتفقد احوالي كانت تختلق الحج للمرور امام عيادتي، اعلم ان كلامي باعث للشك؟ لكن كل ما اقوله محظ

حقيقة خرقاء قد لا يسعدكم ما اقوله، الحقيقة غالبً لا تسعد احد، الجميع يرغب ان يبقى في وسط عالمه الذي خلقه لنفسه للهرب من الواقع الذي يعيشه، كل شخص فينا مريض؛ الفرق بيني وبينكم، أنا اعلم بالمرض وارفض علاجه، تجمعني علاقة وطيدة جدًا مع مرض، تصالحت معه، المعضلة الكبرى ان لا تتصالح مع تلك الازمات ولا تحتويها، سوف يأتي عليك يوم تتفاجئ بالضربة التي تتعرض لها، سوف تكون ضربة قاضية بلا ريب.

ابتعدت تلك المرأة مع أبنتها الشابة قليلًا، سمعت صوت صراخ!

كانت تلك الصرخة مألوفة؟

نفس الصرخة التي سمعتها منذ احد عشر عام!!

نظرة في تجاه الفتاة ووالدتها، كانت هناك سيارة تقف في منتصف الطريق، صدمت احدى السيارات الفتاة مما ادى إلى سقوطها على الارض ودماءها تغطي جسدها، وأنا جالس مستمتع في الاجواء الجميلة، لم احرك ساكن، كنت اراقب والدة الفتاة؟ تصرخ طالبه المساعدة، لم يقترب منها احد، او بالأحرى لم يجرء احد على ذلك.

لأول مره أغضب من نفسي؛ خالجني شعور غريب، لم استطع ان اتحرك من مكاني حينها إلى نجدة تلك الفتاة، بغض النظر عن نوع العلاقة التي جمعتني مع والدة تلك الفتاة، إلا انني لم اشعر بالألم في داخلي تجاه

الفتاة التي صدمتها السيارة، كنت مستمتع؟ وأنا انظر إلى والدة الفتاة التي بدء وجهها شاحبً وهي تنظر ليّ والدموع تملئ عيونها، طلبت مني ان اساعدها، لم اتقبل فكرة المغفرة، تجاهلتها واكملت متعتي وأنا اشاهدها كيف تدفع الثمن، اعتقدت في وقتها انها هي وحدها من يدفع الثمن، كنت مخطئ تمامًا؛ كلأنا فعل ذلك بطريقة واخرى.

الفصل الحادي والعشرون

ذهبت إلى فراشي في نهاية ذلك اليوم، حاولت النوم جاهدً لم استطع حينها ان اجعل عيني تغفوا، فقد كان مشهد موت الفتاة راسخ في رأسي، لم أنام طيلة الليل، كنت افكر في سؤال واحد فقط؛ ما الذي حدث ليّ لأصبح إلى ما أنا عليه من قسوة.

كانت والدة الفتاة تؤمن في أنني سوف اقدم لها المساعدة بالرغم من كل شيء، بعد لفظ انفاس ابنتها الاخيرة، كانت والدتها مجردة من الإيمان، الجميع ينظر اليها، نظرة عطف؛ لكن لم يرغب في مساعدتها، لم يمنحها تعاطف جميع من حولها الامان والسلام، ولم تعير لاهم أي اهتمام، كانت فقط تنظر ليّ، وتنتظر مني ان انهض وافعل تلك الفعلة التي فعلتها قبل احد عشر عام(تعتقدون ان هناك انسان عاقل يقع في الخطئ مرتين؟) تمنيت ان اقع في نفس الخطأ مرة اخرى، لم يقف القدر بالضد من خطواتي، لكن رغبتي في مساعدتها كانت مرتبطة في ذهابي اليها؛ للحظة كنت مستمتع في رؤية مشهد الموت، تمثل في تراجيدية الحزن والتعايش معها.

لأول مره منذ احد عشر عام؟ مرّ على ذلك اليوم عشرة ايام ولم اشاهد والدة تلك الفتاة مره اخرى؛ الغريب كنت لا الاحظ مثل تلك الاشياء، إلا أنني الان بدأت في التدقيق على اتفه التفاصيل؛ وكأن الامر يعنيني؟ نحن لا نعرف قيمة من نحب ولا نقدرهم إلا في وقت خسارتهم؛ اكتشاف قيمة الأشخاص في داخلنا يرتبط على مدى الاعتياد عليهم.

عندما يموت شخص لا نعرفه يكون تعاطفنا معه اقل بكثير وقد لا نمنح الامر تلك الاهمية الكبيرة، قياسًا عندما يموت شخص نعرفه وان كانت درجة المعرفة اقل بكثير من ان يكون صديق يكون الالم اكبر، اما عندما يموت صديق يكون ألام الفراق اكبر بكثير عما مررت به سابقًا، لكن عندما يموت احد افراد عائلتك تعيش مع الالم طيلة حياتك وان كان الالم انتقالي يظهر ما بين فترة واخرى؛ يتألم الإنسان بقدر كمية المعرفة التي يمتلكها؟ التجربة هي المعِار الاساسي لقياس حدة الالم.

سمعت صوت غريب؟ قطع لحظة التفكير التي كانت تسيطر عليّ وأنا في فراشي احاول النوم، بالرغم من ان الوقت لازال مبكرًا على النوم، على غير عادتي، اردت ان أنام في الساعة(9 ليلاً)، نهضت لأتفقد ما يحدث دخل العيادة، وإذا في اسمع صوت؟

قرع باب العيادة!!

عيون ناعسة شبهة مغلقة، دفعتني للسير في خطوات مثقلة لا استطيع ان اشاهد شيء حولي، كانت الظلمة حالكة؟ توجهت صوب مفتاح المصباح، إلا انني اخطأت الطريق؛ بعد محاولات كثيرة، تزامن معها طريق الباب باستمرار!!

كدت افقد اعصابي؟ صرخت قائلاً انتظر قليلًا أنا لا استطيع رؤية شيء حولي؛ لم يجد الامر نفعًا، ارتفع صوت الباب، كان الوضع لا يطاق، شعرت ان من يقف خلف الباب يستمتع في ارهاق اعصابي.

واخيراً؛ وصلت إلى مفتاح المصباح؟ يا الهي كان عملاً شاقٍ؛ سرعًا ما انتشر النور في ارجاء العيادة، بدء الظلام في التبدد شيئًا فشيئًا إلى ان انتشر النور في العيادة، كانت كبسة زر واحد كفيلة في أنهاء كل تلك المعاناة.

اقتربت من الباب، كان صوت قرع الباب مرتفع جدًا، بالرغم ان من يقرع الباب كان على دراية تامة بما يحدث في الداخل؛ لكن لم يكلف نفسه التزام الهدوء قليلًا، فتحت الباب، وذا به أياد وحسن وفرمان؛ عجبًا، لقد نسيت الامر برمته؟

قلت لهم كيف اتيتم إلى هنا؟ كان سؤال ساذج حينها؛ نظرة في وجوههم؛ لم يستطيعوا التحكم بأنفسهم، تعالت اصوات ضحكاتهم ساخرين من عندي؛ فقد كنت خائف في وقتها؛ كثرة القرع على الباب

جعلتني اعتقد ان هناك مصيبة سوف تحل بي؛ فتحت الباب رغمًا عني؛ خشيت ان اسمع خبر مؤسف، لا يهمني إن صدقتم ما اقول او لم تصدقوا؟ أنا لا اقول كل هذا لإرضائكم، كنت خائف وان كنت لا املك اي شيء ذو قيمة في هذا العالم، حتى انت يا ايها القارئ، هل انت لا تخشى على أشيائك الثمينة من الضياع؛ إن هناك روح تخاف عليها ان تزهق؟ ليست سخرية؛ إلا أن من أعتاد على الخوف اعتقد ان الامان جريمة.

قالوا جميعًا انظر إلى ملامح وجهك تبدوا خائفًا؛ كانت مزحة ثقيلة، دفعتني إلى اتخاذ قرار مصيري، اعتقدت ان فتح الباب جريمة، والحمدلله ارتكبت تلك الجريمة!!

ماذا لو لم افتح الباب؟ لأصبحت رهينة افكاري، القليل من الشجاعة سمحت لي اكتشاف الحقيقة؛ مواجهة الخوف يبدا من مواجهة المخاوف التي توجد في داخل اعماق الإنسان، الخوف والرهبة ليس لهم وجود في الخارج.

دخلوا إلى العيادة، وكانت السعادة تعتريهم؛ كان فعل مشين جدًا، التفكير البسيط تجاه الاشياء المحيطة او التصرفات التي يبدها اي شخص إن لم تمنحه عمق من التفكير والتأمل سوف توقع صاحبها في التهلكة؛

الفصل الثاني والعشرون

شعور الاستلاب نشأ تدريجيًا في داخلي واحتلني من الداخل؛ عدم القدرة على البوح بتلك الرغبات التي اقولها لكم الان، الخوف من النطق الذي سوف يخلق اعتقاد مغلوط من الاخرين تجاهي، جعل مني اداة للتسلية، لا احد يعلم كمية الاسى والخذلان التي في داخلي، وجوه ضاحكة وعقول متحجرة، تدفع في إلى الجنون!!

عندما تعيش في عالم مزدحم في الأشخاص، وتصحوا وحيدًا وتأكل وحيدًا وتنام وحيدًا ماذا يمكن ان تسمي ذلك، هل هو حرية ام وحده ذاتية ،عندما تخشى ان تقول اي كلام لمن حولك خشية ان تجرح مشاعرهم وهم في كل لحظة يقترفون الخطأ بحقك، هل هي صداقة ام عداوة؟

يولد الإنسان صارخٍ ويموت ضاحكً؛ من قال لكم الموت شيء سيء يقع على الإنسان في اخر ايام حياته، أنا اعتقد ان الموت اكبر مكافأة ينالها الإنسان في الوجود؟ الاعتقاد السائد تجاه الموت لدى الوعي الجمعِ للمجتمع الناشئ أصل لوجود فكرة سلبية ازاءه؛ مثلت مخرجات للأيمان

الخاطئ، النابع من الفطرة المجتمعِة اي البيئة التي نشاء الفرد فيها، مما أثر بشكل او بأخر على الطبيعة السيكولوجية للتوجهات الفردية.

بعد دخولهم الى العيادة جلسوا هذه المرة في غرفة نومي، على غير العادة؟

قال حسن كيف حالك يا صديقنا العازب؛ كم اتمنى يا عامر ان اكون مثلك(قالها ساخراً ناقدٍ)، كم تمنيت ان اقوم بإيلامهم، لم يوقفني عن ذلك اخلاقي ولا القيم التي نشأة عليها، ولم تكن لمشاعر المحبة اي اعتبار في داخلي، الامر الذي منعني من شتمهم وضربهم والتلذذ في أذيتهم!!

عدم قدرتي على مجاراتهم، كان عددهم كبير؟

جسد ضعيف بسبب تقدم العمر،

قال فرمان وهو متكئ على جانبه، هل هناك ضيافة تقدمها لنا،

قلت لهُ نعم، هناك وجبة تناولتها قبل عشرون يوم لا زالت في الثلاجة؛ هل ترغب في اكلها، اصفر وجهه، وبدت عليه علامات الارتباك.

لم يفهم الحمقى ما كنت اقصده سوى فرمان، الذي اعترف ليّ بأن لديه عادة سيئة، كان لديه متعه في تعذيب خادمته، حيث يجبرها على تناول الطعام السيء، ويمارس معها البغاء، عندما سألته لما تفعل ذلك، قال لي حينها اشعر بالنشوة عندما أرى الضعف في عيون الاخرين، الشعور بالقوة يمنحني السلام(انتم لا تعلمون حقيقته)، فرمان جبان جدًا،

يتصنع القوة امام الجميع، وأنا الوحيد الذي يعلم مدى ضعفه وهشاشته، تزوج امراه ساديه، تجبره على فعل الكثير من الاشياء القذرة في ممارسة الجماع؟ لا تخطر على عقل احدكم، احتفظ بها لنفسي، لأنه صديقي وان كنت ابغضه بشده، منذ ان تزوج وإلى يومنا هذا تضربه زوجته إلى ان يبكي؟ الهالة التي حوله هي عباره عن زيف.

علم حينها ان الصمت افضل لهُ، نظرة في عينيه؛ رأيت الضعف كيف يطغى عليه، للوهلة الاولى اعتقدت انه سوف يبكي،

عم الصمت قليلًا..

كان الوضع مريب جدًا..

لم يدخلوا غرفة نومي؟ انما دخلوا عالمي الذي احتفظت به بعيدًا عن الجميع!!

كانت هناك ثلاثة صورة معلقة على الجدار، خشيت ان ينظروا اليها؟

طلبت منهم الجلوس في غرفة الاستقبال، لكن أصر حسن على البقاء في غرفة نومي، حيث استلقى على فراشي!!

قال حسن عجبًا، فراشك بارد، وكأنك لم تنام عليه مطلقًا؟ وايضًا سريرك مرتب، هل تغيرت عادتك في النوم واصبحت تنام من دون حراك هه هه هه(خشيت ان يكتشف سري اللعين).

انشغلت في اخفاء المسائل الثانوية ونسيت الاساسية، كان انتباهي نحو الصور فقط، لم انتبه إلى شيء اخر، قال فرمان لما هناك مقعدين في غرفة نومك؟ هل تأتي بالعاهرات هنا، هيّا تحدث لن يحدث شيء سوف نكتم سرك، قلت له وهل انت عهدت عليّ مثل هكذا اشياء؟

قال فرمان لماذا في كل مره تقوم في عملية اسقاط الماضي على الحاضر، هناك اختلاف كبير يا عامر(كان يلمح لأمر ما)،

اجبته، الاختلاف ينبع من الذات، إن الاصل واحد مهما ابتعدت في تفسير وتأصيل اي مسائلة كانت، اليوم انت لا تهتم في مسائل الدين كثيرًا، لكن لديك اعتقاد راسخ في داخل رأسك النتن(قلتها ممازحًا)، لا تظهره لأي احد خاص فيك انت، قد يكون الاختلاف في المظهر لكن التأصيل هو واحد؛ مثلاً انت شخص جذاب وكاريزما وتحبك النساء؟ لكن لو تعلم النساء ما اعلمه أنا عنك؛ هل تعتقد ان هناك أمراه واحده على اقل تقدير تتسم بالعقلانية ترضى ان تضاجعها؟ وليس الزواج منها هه هه هه.

الفصل الثالث والعشرون

هناك نوعين من الاختلاف...

اختلاف مادي؟ يظهر في ملامح الإنسان، لديك تغيير لون الشعر وتجعد البشرة وحدة الصوت وضعف الصوت؛ كل تلك الاختلافات هي تجريدية عينيه، اي يمكن ملاحظتها في العين المجردة، لا يستطيع اي شخص ان ينجو من هذا الاختلاف، إلا نوع واحد من البشر؟ يا فرمان!!

من لم ينجو من معترك الحياة وفارق الحياة قبل الوصول إلى مراحل عمرية متقدمة، لم يغير الزمن من ملامحه، وهم اطلق عليهم اسم (براعم السعادة) ، لقد حصلوا على ادنى واقوى درجات السعادة في آن واحد.

وفي الضد هناك من صنف اخر تعرضوا للتغير في مقتبل العمر؟ نتيجة التقلبات التي تعرضوا لها في الحياة، فقد الزمتهم الصيرورة الزمنية على سلك درب متعرج كطريقة يختارونها لتجاوز الازمات التي اضحت جزء لا يتجزأ في حياتهم؛ كثرة المشاكل وقلة الحلول، أثرت بشكل مباشر على الطبيعة السيكولوجية بسبب الارهاصات الفسيولوجية المنبعثة من مخرجات الوعي في داخل المجتمع.

تقبل الواقع وعدم تقبله هو الفيصل في هذا؟ لكن تقبل الواقع مع اختلافه يجعل من التعاطي معه اكثر صعوبة، كل الافعال الناجمة من البيئة المحيطة تجعل من الفرد حبيس افكاره ومشاكلة وهمومة، تتجسد في القاذورات التي توجد في قاع المحيط، الاصل انها لم تنشئ في القاع، كانت تطفوا على السطح وبع الاعتياد وتشبعها في المياه(مشاكل الحياة) جعلها تغوص شيئًا فشيئًا إلى قاع المحيط، ليكن لها بيئة جديدة ومكان جديد تعيش فيه، ماذا لو خرجت كل القاذورات الموجودة في اعماق المحيطات إلى السطح؛ اؤكد لك لن تستطيع ان تصطاد حتى سمك صغيرة، لان الاسماك سوف تموت بسبب التلوث؟

نفس التأثير يقع على الإنسان، لكن التأثير يعتمد على اسباب مختلفة تؤثر بطرق مغايرة تظهر الاختلاف المادي،

هنا يكون التغيير اكبر بكثير وله نتائج مدمره جدًا؟

اما اختلاف معنوي؟ هو التغيير الجوهري الذي يظهر على الإنسان، لا يتأثر في تغيير ملامح الجسد، انما ينبع من الذات، إذ يرتبط في التغيير الذي يتعرض الفرد عن طريق تغيير الافكار، ما يميز هذا الاختلاف انه لا يتمثل في فئة معِنه او يرتبط في مرحلة عمرية محددة؛ ولا يمكن معرفة التغيير من عدمه إذ يكون غير مرئي يتمثل في الافكار التي يحملها الإنسان، انت اليوم يا فرمان الجميع يعلم طريقة تفكيرك وإلى اين تريد

ان تصل عند طرح اي موضع؟ قبل عشرة اعوام مثلاً، هذه المدة الزمنية أدت إلى وجود تغيير وان كان طفيف على افكار؟ يتبع تعرضك للأفكار النابعة من البيئة المحيطة والأشخاص الذين تلتقي بهم، وكيف أثروا بك بطريقة او اخرى،

تمثلت الحركات الاسلامية المتطرفة استخدام هذا النوع للترويج لأهدافها بصورة خاصة، في حين جسدت الجماعات او الحركات الاصولية (مسيحية ويهودية) المتطرفة بصورة عامة، بناءً على معرفتي البسيطة، فقد عشت فترة الثمانينيات وانت تعلم يا فرمان كان هناك لدي اصدقاء يهود منهم **بنيامين الابرص**؛ تذكره جيدًا كان طالب متفوق في صف العلوم وحدثنا كثيرًا عن اليهودية والتسامح فيه، كان اعتقادنا ان اقواله كانت محض هراء(اقول ذلك لأظهر لكم بلادة عقل الشباب)،فقد حدثني عن الجماعات الحريدية التي تكفر كل يهودي لا يتبع نصوص التوراة بالحذافير؛ ونفس الامر القس **بسطوروس** اخبرني عن الجماعات الارثوذكسية كيف كانت ترى نفسها انها من يتبع تعاليم يسوع وباقي الفرق كافره، نفس الامر لدى الاخوان المسلمين والسلفية والسنة والشيعة، كل فئة تقول أنا على حق؟

أنا اعتقد ان العوام(الناس العاديين) هم على حق!!

ممن لم يتأثر أيمناهم الناتج عن الفطرة بالميول الحزبي والتشدد..

إذن الإيمان اكثر أمر عرضة للتغير المعنوي، حيث لا يمكن ان تشعر به، في لحظة واحدة تجد نفسك تركت طريق ودخلت طريق اخر.

أنا مثلاً، كنت شخص خجول يخشى ان يبوح كل ما في خاطرة او يعاتب اي شخص اخطأ في حقة قبل سنة على اقل تقدير، اما الان؛ فقد اصبحت شخص أناني وقاسٍ وشديد الملاحظة والتهجم؟ هل يعني ذلك انني ولدت هكذا، بالطبع كلا.

شاح أياد بنظرة إلى زاوية الغرفة، وقال ما هذا؟ يا عامر؛ لما تحتفظ بتلك الاشياء!!

يا الهي لقد وقعت في المحظور؛ لم أخطط لذلك مسبقًا، كان حظي سيء جدًا في ذلك اليوم وجيد في نفس الوقت، فلم يعرّ احد الانتباه، الا أياد؟ فقد بدء وجهه عابسٍ، علمت حينها لست وحدي عالق في هذه الغرفة حتى أياد كان مثلي لكن لم يظهر ذلك، كانت هناك دميتين، وحدة كبيرة وخرى صغيرة عليهم صبغة حمراء.

قال حسن؛ لما تحتفظ بها يا عامر، قلت لهُ وأنا ادعوا الله ان يصدقني، هيّ من ادوات العلاج النفسي التي استخدمها لعلاج المرضى، اشار برأسه، لقد اقتنع بما اقول، اووه، كاد ان يغمى عليّ من شدة التوتر.

الفصل الرابع والعشرون

كانت الدمى عبارة عن إستذكار قديم، لهُ مكانة عميقة في روحي، لا أحد يستطيع معرفة تلك الأشياء التي نهتم بها إلا من خاض نفس التجربة والأسى الذي وقع علينا، قال أياد ظهري يؤلمني، رد عليه حسن تعال وأجلس بجواري هناك مساحة كبيرة، كان حسن يجلس بالقرب من السرير وهناك فراش اعتدت أن أنام عليه؟

صرخ أياد في وجهه قائلاً، هل جننت لا أستطيع، لم يفهم حسن أي خطأ أرتكب ليجد هكذا ردت فعل؛ قطعت حديثهم بضحكة كبيرة، كان ثمنها عمرًا من الوجع، مثلّ الوضع بالنسبة لحسن وفرمان لا يطاق لم يفهموا شيءً، جلس أياد في مكانة ولم يتحرك.

نهض أياد غاضبٍ وحاول الخروج من الغرفة؟ لحق به حسن واوصد الباب بسرعة محاولاً منعة من الخروج، هنا كاد يتوقف قلبي؟ فقد رأى الصور الثلاثة معلقة على جدار الحائط الذي يقع خلف الباب!!

قال حسن ما هذه الصور الغريبة؛ رغم غرابتها تبدوا جميلة، لقد وضعت بتأني فقد كان شكل الصور يأخذ منحى مثلث، كانت الصورة العليا جميلة فيها امرأة ترتدي لباس اسود وتدفن بيدها طفلها في التراب

وهي تضحك، وخلفها كان لون السماء حمراء؛ الا تشاطروني الرأي يا رفاق، لكن يجب ان يقول لنا عامر رأيه فيها، اجبتهم لقد وضعتها على هذا الشكل على سبيل الصدفة؟

لا يعلمون أن المرأة هنا كانت ترمز إلى قداسة الشر المتجذر في النفس البشرية، فقد خُلق الطفل في وسط أحشائها وعاش في داخل بطنها تسعة أشهر ،اعلم سوف تقولون كيف علمت أن الطفل هو أبنها كانت تضع عليه التراب وهو يداعبها ويضحك كان يضن أنها تلاعبه؛ يستطيع الطفل الصغير ان يميز ما بين والدته والشخص الغريب، أنا كنت كذلك عندما كنت صغيرًا.

أزهقت روح بسبب لحظة ثقة، العاهرات لا ينجبن اللقطاء؟ اللقطاء هم ابناء لحظة حب؛ الضحكة مثلت لحظة السعادة التي كانت تشعر بها أثناء ممارسة الجماع مع عشيقها، القرارات التي نتخذها في حياتنا مهما كانت بسيطة، تأخذ حيز كبير في حياتنا وتأثير اكبر عليها، السماء علامة فارقه من علامات السعادة التي سوف ينالها الطفل الصغير!!

فقد أقترب اليوم الموعود...

يوم القيامة كناية في لحظة الموت؟

يوم واحد نجهل تفاصيله، فناء الإنسان وخروج روحة هي علامة تؤصل الابعاد اللامتناهية في الوجود، تمثل خروج الروح والذهاب نحو

العالم الآخر؛ الذي وإن كتبنا عنه آلاف الكتب لن نستطيع أن نمنحه وصف دقيق لأننا لم نعيش فيه الى الان على أقل تقدير، هذا هو السبب الرئيسي في فلسفة الثواب والعقاب، نظر حسن نحو فرمان(كانت نظرته تلميح لشيء ما)،

هه هه هه الأمر معقد قليلًا، أن ما يعجبني فيه هو التعقيد، اعتقد أنه من الصعب أن تعلموا الحقيقة دفعة واحدة، يجب نقل الحقيقة على شكل جرعات (الدواء مثلاً)، تقبُل الحقيقة المجردة يصعب تصديقه، كل تلك الأفكار مزدحمة في عقلي ،لا استطيع البوح بها.

اما الصورة الثانية كان هناك رجل يلبس ملابس مهترئة يجلس في زاوية غرفته وحولة خمسة اطفال ذو مظهر جميل كان ينظر لهم نظرة بؤس، لم يفكر حسن أو فرمان أو حتى أياد بكل تلك التفاصيل، فقد اجتمعوا على رأي وأحد أن هذا الرجل كان جاحدٍ للنعم التي حوله، وأن الحياة في أصلها متعبه ويجب أن يعمل وأن يشقى ليعيش حياة كريمة؟

حمقى لم يكلفوا أنفسهم عناء التركيز ولو قليلًا في الصورة، فقد كان الرجل المسكين يحمل بيده رسالة ، كتب عليها بخط صغير جدًا **انت عقيم!!**

الاستغلال عندما يبلغ أعلى مراحله يهوي بالإنسان نحو الجنون؛ يرى أطفاله يلعبون حوله، وكيف شقى في حياته كثيرًا لإسعادهم وفي لحظة

يكتشف أنهم ليسوا من صلبة؟، هراء الحقيقة، ماذا لو لم يكتشف تلك الحقيقة!!

أقسم لكم يا أيها الناس إن الإنسان لا يموت دفعة واحدة، إنما على شكل دفعات، اخر شيء يموت فيه هو جسده، يبدأ الأمر في قلبة وينتهي في خروج روحه نحو السماء، كان الحزن يخيم على ملامح فرمان؟(لقد فهم الامر أخيرٍ)

اما الصورة الثالثة كانت هناك صورة رجل يرتدي عمامة بيضاء وفي يده خيط اخضر وفي صدرة صليب ويلبس زي عربي قصير يصل كعب قدمية؟ ويمشي في طريق مظلم، وحوله ثلاث جثث، الغريب في الامر لم يكترثون لآخر صورة؛ كانت أكبر كنز أحتفظ به، جسدت زيف الاثم المغطى في قداسة الدين!!

الفصل الخامس والعشرون

هذه القدرة يمتلكها القليل من الأشخاص، برع فيها رجال الدين؟ كانت لديهم القدرة على استغلال النصوص الدينية لتحقيق مأرب شخصية، حيث أصبح الدين أداة لتحقيق المصالح الشخصية لجماعات مختلفة بعدما كان العمل على اساس الدين لأشاعه الخير، وإن كان الخطأ يرتبط بالأشخاص انفسهم ولا يعني بالضرورة أن كل خطأ يرتبط بالإنسان؛ إذ يجب عدم أسقاط المسائل الجزئية على الدين بعينه.

أن تكون رجل (**سني او شيعي او مسيحي أو يزيدي**) في آن واحد؟ يجب أن تكون علماني بامتياز؛ مهمتهم تسيس الدين لخدمة الفكر الإنساني على حساب الفكر الالهي وإن كان الأصل هو أتباع الفكر الالهي، خاصة أن الفكر الالهي يتسم بالفوقية والسمو على الفكر الإنساني المحدود.

للدين قداسة وللإثم أصول، على أقل تقدير يجب عدم انتهاك أصول الإثم في حال تم انتهاك قداسة الدين، الغرض من ذلك هو التمييز بين الدين والآثم، عجبًا نحن نعيش في عالم حتى الإثم دنسّ في زيف الواقع

عبر فلسفة الإنسان، وإن كان الأصل أن الإثم والدين متضادان لا يلتقيان ابدًا.

ما يحدث هو أكبر من ذلك؛ كل شيء مباح للوصول إلى حقيقة الكذب...

وأنا أجلس في بينهم أعلم يقين الإيمان أنهم بؤساء ليس لأنني بائس واقول هذا لإبراز البؤس الذي يعيش في داخلي!!

لو لم يكونوا كذلك، لما أتوا إليّ مرارًا، وأنا اعلم انهم لا يطيقون رؤيتي، جُل ما أعلمه، أن هناك طريق يجب الوصول إلى نهايته يعرف باسم الحياة؟

أن سعادتي توجد بالقرب من سريري؟ وأنهم يجهلون تلك الحقيقة، إلا أياد هو الوحيد الذي يعلم تلك الحقيقة ويشاطرني في الذنب نفسه، أما البؤس فقد تركه ليّ ورحل؛ يعلم أنني لو استطعت أن اقتله لما ترددت لحظة واحده لفعلها، للتقليل من سطوة البؤس الذي أعيش فيه، إن ما أقوله هو محض أمل أسعى للوصول إليه، رغبة لازمتني منذ ثلاثون عامًا تقريبًا،

اعترف لكم يا سادة أنا شخص جبان وخائف، لم استطع أن أخذ حقي، وإن لم أعرف ما هو حقي في الاصل؟ لأن تفسير الأحقية يختلف من شخص لآخر، لكن هذا البؤس يجب أن يتشاركه أحد أخر معِ، لا أقوى عليه وحدي.

قال حسن هل كنت نائم هنا يا عامر قبل مجيئنا(قالها مستهزءً)، كان يلمح إلى أنني أنام بجوار سريري وليس فوقه، لأول مره يقول أمر حقيقي.

قلت لهُ؛ نعم أنا لا أنام على سريري وهذه رغبتي ويجب احترامها؟

أخشى ان أقول لهم الحقيقة؛ إن قلت لهم لما افعل ذلك؟ لن يأتني السلام حتى في المنام!؟

لا ارغب في تذكر ذلك؟

كان الأمر قاسٍ وإلى الآن، لم يتغير الوجع، بل أنا تغيرت وأصبحت اتعايش معه!!

قال أياد، انت غريب الاطوار يا عامر لما تنام في هذا المكان، الم يحن الوقت للتغير!!

قالها أياد وكانه يعتقد أنني نسيت ما جرى؟

قبل ثلاثون عامًا مضت ولم يأتي وقت للنسيان!!

كان أمر لا يصدق؟

عشت طيلة تلك السنوات في كوابيس بسببه، والان يقول ليّ هذا الكلام أنها وقاحه!!

الفصل السادس والعشرون

قبل ثلاثون سنة؟

في ليلة شتاء باردة، أتى أياد إلى عيادتي، وكنت لا ازال شابًا يافعًا؛ كانت ملابسة ملطخه بالدماء، لم استطيع أن أفهم منه شيء حينها، تركته يجلس قليلًا؛ ثم قال لقد قتلتهم؟ لم أفهم شيء من ما قال، أنتظرت قليلًا ريثما يهدأ وقال لقد صدمت أمراءه وطفلاً صغيراً في السيارة، بعدها طلب مساعدتي لم أقدر أن اتركه وجده!!

لا اعلم كيف أستطعت ان أفعل ذلك، إلى الان أنا لا أستوعب كيف جرى الامر!!

هرعت إلى مكان الحادث، وتركت أياد في العيادة، فقد كان متوتر جدًا، وقبل الوصول إلى مكان الحادث الذي لم يبعد عن عيادتي سوى عدة دقائق، وإذا بي أجد امراءه تحمل طفلاً صغير ساقطة على الارض وتغطي الدماء وجهها؟

بداء المطر في الهطول، تعكر الجو، لم أستطيع أن أميز أي شيء من ملامح تلك المرأة، إذ تأكد ملامحها تذوب، فقد شوهت سيارة **السوبر** التي كان يقودها أياد حينها ملامح تلك المرآه السمراء اليافعة التي لم

تتجاوز الثلاثين من عمرها، يظهر مسار خطواتها يظهر لي إنها كانت متجهه إلى عيادتي في ليلة حالكة الظلمة.

كانت مثلّ لوحة ملائكية، طفلاً لم يتجاوز العام من عمره مقتول في حضن والدته التي لا زالت تحتضر، أفضل واسواء ميته يتمناها أي شخص هو أن يموت بين ذراع من يحب؛ سمعت صوتًا، بدا للوهلة الاولى مألوفًا بالنسبة ليّ؟

لم أبدي اهتمامًا حينها!!

حملت الطفل بيدي وأخذته إلى عيادتي، كان قد فارق الحياة؟

لم أستطع التركيز بكل تلك التفاصيل، فقد وضعت الطفل في داخل العيادة خشية أن يراه أحد ويسبب لأياد في مشكلة، كان همي أن أنقذ أياد فقط، كُنت مستعد لفعل أي شيء في وقتها!!

ثم عدت وحملت المراءة كان جسدها ثقيلة جدًا، فارقت الحياة منذ وقت قصير إذ لا يزال جسدها ساخنًا، دخلت إلى العيادة وكان أياد يبكي حيث دخل حالة هستيريا من البكاء والصراخ؟ بعد تشجيع واصرار على أياد، حملنا المراءة وطفلها، من غرفة استقبال العيادة إلى غرفة نومي، لم يكن لنا خيار سوى دفنهم في عيادتي!!

أثناء الذهاب لجلب معدات الحفر، خرجت على عجاله من أمري إلى مخزن العيادة، قام أياد بتكفين المراءة وطفلها، عدت مسرعًا ووجدته

انجز المهمة على أكمل وجهه، بدأنا بالحفر، استغرق حفر قبرين منا عمل ثلاث ساعات متواصلة،

أنا وأياد لم نكن في وعينا حينها، فقد أنقطع الشعور والاحساس، بسبب قوة الصدمة لم نحاول معرفة هوية الضحايا!!

شعرت حينها كأنني اقتل نفسي، لم اعلم سبب ذلك الشعور السيء؛ وكأن قلبي تقطع إلى قطع كثيرة ومتناثر، كلما كان يهمني أن أنقذ صديقي أياد، لم يعنني أي شيء أخر، وبعد اكمال حفر القبرين قررنا وضع الطفل الصغير اولاً في قبره، كان قبرًا جميلاً، يحاكي فلسفة الشر والأنانية في النفس البشرية،

وبعد وضع الطفل في قبره ودفنه، انتقلنا لوضع تلك المراءة في داخل قبرها، حينها انتابني شعور بالفزع!!

شاح نظري قرب الباب، وذا في أجد قلادة من الذهب سقطت بالقرب من الباب، كانت المسافة بعيدة؟ إلى الان لا استوعب كيف رأيتها، ذهبت صوب الباب كان يتحدث أياد معِ ولم ارد عليه وبعد وصولي بالقرب من الباب حملت القلادة بيدي!!

كان فيها اسم فتاة؟

هل يعقل ذلك!!

لماذا هيّ هنا؟

لا يا ألهي!!

أتمنى أن يكون ذلك كابوس، وأستطيع أن أستيقظ منه؟

نقش على القلادة أسم ليلى!!

لا يمكن ان تكون تلك المراءة هي نفسها؟

بدأت اتذكر ذلك الصوت!!

وكأن عقلي عاد ليّ في تلك اللحظة، تذكرت كُل شيء في أدق التفاصيل؟

أنها ليلى زوجتي؛ ماذا فعلت، والطفل هو ولدي علي، صرخة في وجهة أياد هل كنت تعلم من قمت بدهسهم؟

بدون وعي خرجت مسرعًا من العيادة إلى منزلي الذي يبعد ميلاً وكلي أمل أن أكون مخطئ، لشدة خوفي لم أتجرء في فتح قبر ليلى الذي لم يدفن منه سوى القليل أو قبر علي، حاولت الأتصال بها مرارًا وتكرارًا ولم تجيب، بعد عناء طويل بالرغم من قرب المسافة، كُنت أشعر أن المسافة تبعد الأف الأميال وحيرًا وصلت إلى المنزل؟

دخلت إلى المنزل، بحثت في كافة أرجاء المنزل ولم اجدها؟

أتصلت في أياد؛ أجبني عليك اللعنة!!

لم يجيب!!

خرجت من منزلي، وعيني تملئها الدموع، أركض واسقط على وجهي، وملابسي مبلله، لا اعلم هل كان ذلك ماء المطر ام تلك ضريبة الخطيئة، وصلت بالقرب من العيادة، كنت أخشى الدخول، الخوف والفزع الذي مرّ عليّ في ذلك اليوم يكفي أن يجعلني صامتً لا أتحدث دهرٍ كاملاً، أمتلكت القليل من الشجاعة ودخلت إلى العيادة؟

رأيت أياد ساقط على الارض؟

ماذا حدث ايضًا لما أنقلب الوضع رأسًا على عقب، كانت معصمه مجروحة!!

تيقنت حينها انه حاول الإنتحار بعد أن أخرج الجثتين!!

نظرة بالقرب منه رأيت جثتِ علي وليلى؟

علمت حينها أن طفلي البكر علي قد فارق الحياة وكيف مات قتله صديقي؟ زوجتي ليلى تركتني وحيدًا بعد ان تخلت عن الحياة التي طالما أحبتها.

هناك جثتين وقد يرتفع العدد الى ثلاثة جثث، فقد كان أياد كان يحتضر، ركضت مسرعًا وحاولت أسعاف أياد، بعد جهد جهيد أستطعت أيقاف النزيف، لكنُه خسر الكثير من الدماء!!

كان متبقِ لدي كيس **دموتيك** واحد(كيس دم) يحمل دماء متبرع، وعلى سبيل الالم كانت زوجتي ليلى هي المتبرع!!

الفصل السابع والعشرون

اخذته واعطيته لأياد؟

كان شعور مؤلم أن تنقذ الجاني في دماء المجني عليه، اه اه لو تعلمون مقدر الألم حينها في داخلي، بكيت لليالي طويلة لم أنم من فرط الاذى، الإنسان أناني في طبيعته.

قتل زوجتي وزوجتي أنقذت حياته وهل هو يقدر ذلك الأن، بقيت مستيقظ طوال تلك الليلة، أشاهد ساعدتي كيف تبددت، كانت أمراءه جيده، تحب مساعدة الجميع، حتى في وفاته كانت سخية وكريمة، لم تؤثر على نفسها بإعطاء دمائها النقية لقاتلها!!

الحُب والإيمان واحد؛ هيّ كانت العالم والعام هيّ؛ كيف يمُكن أن يفارق الإيمان الجسّد، لم أعلم ما يجب أن أفعله، هل أكره أياد الذي قتل زوجتي وطفلي؟

أم أن أحبه فقد كانت دمائها الطاهرةُ تجري في عروقه!!

عندما تتضارب المشاعر يصبح الإنسان كأنه يعيش في دوامة مفرغة مليئة بالأحاسيس المتناقضة، مضت تلك السنوات، وأنا لازالت علاقتي بأياد جيده لم تتأثر.

عندما يأتي لزيارتي كان شعوري ممزوج بين الكره والحب، أشعر وكان ليلى زارتني.

قد يكون الأمر اقرب من الخيال، لكنهُ محض حقيقة قاسية؟

بعدها غادر حسن وفرمان وأياد عيادتي، وتركوني وحدي أصارع هواجسي، رحلوا وكأنهم لم يأتوا ألي ابدً، لم أتألم على رحيلهم فقد أعتدت على أن أعيش وحدي، عشت أكثر من ثلاثون سنة وحدي، ليلى أخرى لا يمكن أن تغيير من الواقع شيء؟

عدت إلى فراشي الذي كان يجلس عليه حسن بالقرب من سريري، أشعر بالألم الفظيع في داخل صدري، قد تكون هذه اللحظة الفارقة في الوجود المادي بالنسبة ليّ على أقل تقدير، نظرة حولي كان هناك قبر ليلى التي دفنتها بالقرب من سريري وفي جوارها قبر طفلي، كان علي يحدثني كل يوم بأن لا اقلق سوف نلتقي هناك.

شعرت أنهُ يعلم عن المكان الذي سوف نلتقي به لكن أين كنت أجهل تلك الحقيقة!!

أغمضت عيوني قليلًا؟

بدأت ارى الأشياء بوضوح اكثر، أنقشع الضباب الذي كان يحجب الرؤية، لأول مره أشعر بأن روحي خفيفة جدًا ولم تكُن مثقلة، شعرت

بالأمان الذي لم أحظى فيه في حضن والدتي، شعور جميل جدًا لم أتمنى أن تنتهي تلك اللحظة، رغبت في أن تبقى إلى الأبد.

نظرة حولي، كان أياد يبكي بحرقة ويصرخ؟ عادة بي الذاكرة إلى ذلك اليوم الذي ماتت فيه زوجتي وطفلي، نفس طريقة البكاء، بل كان يزيد عليها.

اما حسن فقد سيطر عليه الصمت بسبب هول الصدمة، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيء، حدث الامر في لحظة، تغيير الواقع، واصبح الحاضر ماضي وحاضرهم مستقبل مبهم بالنسبة ليّ، اما فرمان يقلب يديه، عندما يشعر بالتوتر والحزن يبدأ في العودة الى تلك العادة السيئة؟

كانوا ثُلة أصدقاء جيدين؟ بالرغم من أن السوء يظهر يغزو ملامحهم، إلا أنني طالما أمنت أن الله مع الصابرين.

في كُل تلك الأحداث لم أعلم أين أنا؟

فقد شعرت بجسدي كأنه يطوف فوق السحاب، جسد خفيف جدًا، شاَّح نظرّي قليلًا وذا فيّ أرى بسطوروس وسعيد أحْمَلَ على اَكتافهم!!

وهنَّاك فتاة تبكِ بحرقة وتناظر الجموع؛ هيّ نفسها كاْنت تلكَ الفتاة التي ماتت بالقرب من عيادتي، وفاطمة تصرخ من شدة الالم وتخبرهم بما فعلته بها؟

كان أحد الملائكة سخيًا معِ فقد سمح ليّ برؤيتهم أثناء تشيّعي، كُل فعل أقدمت عليهِ؛ إن كُنت أذكره أو أنساه وجدته ينتظرني.

لقد مات عامر وعاش أياد!!

الفهرس

الفصل الأول	5
الفصل الثانى	10
الفصل الثالث	16
الفصل الرابع	22
الفصل الخامس	28
الفصل السادس	35
الفصل السابع	41
الفصل الثامن	46
الفصل التاسع	52
الفصل العاشر	58
الفصل الحادى عشر	64
الفصل الثانى عشر	72
الفصل الثالث عشر	78
الفصل الرابع عشر	83
الفصل الخامس عشر	90
الفصل السادس عشر	95

الفصل السابع عشر 101
الفصل الثامن عشر 107
الفصل التاسع عشر 113
الفصل العشرون 117
الفصل الحادى والعشرون 122
الفصل الثانى والعشرون 129
الفصل الثالث والعشرون 130
الفصل الرابع والعشرون 134
الفصل الخامس والعشرون 138
الفصل السادس والعشرون 141
الفصل السابع والعشرون 146

حقيقة الإثم

عماد علي حمد

يمثل الإثم الوجهة الأخر للإيمان بشقيه (المادي والمعنوي)؛ إذ يتولد منه تأصيل وجود الإنسان؛ خاصة إن النظرة التجريبية للإثم تتجسد في التفسير المادي له.

نشوة الألم هي نتيجة مسبقة للذة الإثم. الإنسان يحدد ماهية هذه اللذة؛ الأصل في الوعي معرفة الإثم والتعامل معه، لكل شيء ثمن؛ الوعي المفرط يؤدي إلى إيمان مطلق أو كفر مطلق، وسطية الاعتقاد تتجسد في تفسير الوجود المبني على رؤية عقلانية؛ وإن كان الأصل أن المنطق يكمن في ألا منطق؟

قداسة الإيمان تنتهك وفق إعتقاد مغلوط؛ وجد نتيجة الاختلاف في تفسير رؤية الإيمان الديني الذي تقوم عليه الفرق الإسلامية المعاصرة؛ مثلتْ ردت فعل عكسية سوف تزول مع مرور الوقت؛ حيث أن الفرق الإسلامية ترتكز على فكرة جدلية الإيمان؛ إذ تكون مؤمن عند أتباعك فرقة ما وأثم عند أتباع الفرقة المضادة!!

الإيمان والكفر؛ مسألة تتسم بالنسبية جدًا، تجسد التجربة المعيار السائد لقياس درجة الإيمان لدى الفرد، فكلما كان الفرد أكثر عرضة للأزمات؟ كان بمقدوره معرفة قدر الإيمان الذي يحمله في داخله، للإثم قداسة متأصلة في النفس البشرية، يسعى الإنسان إلى تفسير الأحداث وفق مصالحه الآنية، مما يجعل الإثم أداة للوصول إلى حقيقة الإيمان.

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

رقم الايداع : 2023/4038م ISBN: 978-977-426-328-6

54 شارع شهاب - المهندسين - ج. م. ع
هاتف: 002 02 33446727 فاكس: 002 02 33026637
E-mail: rayatop@hotmail.com
mediaprotech@hotmail.Com